أخبار أبي قطيفة

نسبه

هو عمرو بن الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْط . واسم أبي مُعَيط أَبَانُ بن أبي عمرو ابن أُمَيَّة بن عبد شَمس بن عبد مَنَاف بن قُصيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب ابن لُؤيّ بن غالب بن فِهْر — وإليه تَعود قبائل قريش[1] — بن مالك بن النَّضر ابن كِنانة بن خزيمة بن مُدْركة بن اليأس[2] بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان .

قلتُ : إلى هنا أُنتهى المعلوم من عَمود النَّسب ، وما بعد ذلك إلى إسماعيل ابن إبراهيم فغير معلوم . وقد اختلف النّسابون فيه اختلافاً كثيراً . وقد ذكر أبو الفَرج بعضَ ما قِيل ، فلا حاجةَ إلى ذكره ، إذ كان غير موثوق به .

شيء عن أبي عمرو ابن أمية

قال أبو الفَرَج : ذكر الهيثم بن عَدِيّ[3] في كتاب المَثَالب[4] أنَّ أبا عَمرو بن أُميَّة كان عبداً لأُمية ، واسمُه ذَكْوان ، فاسْتَلْحقه .

وذكر أنَّ دَغْفَلاً[5] النَّسابة دَخل على مُعَاوية فقال : مَن رأيتَ من عِلْيَةِ

---

(١) هذا رأى القلة من النسابين . أما كثرتهم فعلى أن النضر هو أصل قريش .

(٢) قال الزبيدى : «يحمل بعضهم» «اليأس بن مضر» على «إلياس» النبى فى همز أوله . والصواب فى «اليأس بن مضر» أن تعتبر فيه الألف واللام زائدتين ، كزيادتها فى الفضل والعباس ، وأنها داخلتان على المصدر الذى هو اليأس ، وقد تسهل همزته الثانية ، فيقال فيه : الياس . أما «إلياس» النبى ، فهو بقطع الهمزة الأولى مفتوحة أو مكسورة . وعبارة ابن منظور : «وإلياس اسم أعجمي ، وقد سمت به العرب» .

(٣) هو أبو عبد الرحمن الهيثم بن عدى بن عبد الرحمن . إخبارى راوية . ولد بالكوفة قبل سنة ثلاثين ومائة . ومات سنة تسع ومائتين . وقيل : سبع . (انظر إرشاد الأريب) .

(٤) هو كتاب المثالب الكبير . ذكره ياقوت كما ذكره ابن النديم بين مصنفات كثيرة للهيثم .

(٥) هو دغفل بن حنظلة — وقيل حجر — بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة بن عمرو بن شيبان . اختلفوا فى صحبته . مات غريقاً فى يوم دولاب . (انظر الاستيعاب ، والإصابة والطبقات لابن سعد ، والفهرست لابن النديم) .

قُريش ؟ قال: رأيتُ عبدَ المطلب بنَ هاشم ، وأُميةَ بنَ عبد شَمس . قال : صِفْهما لى. قال : كان عبدُ المطلب أبيضَ مديدَ القامة حَسَن الوجه ، فى وجهه[1] نُور النُّبوة وعزُّ المُلْك، يُطيف به عَشْرة من بَنِيه كأنهم أُسْدُ غَاب . قال :فصِفْ أُمية . قال : رأيتُه شيخاً قصيراً نحيفَ الجسم ضَرِيراً يقُوده عبدُه ذَكْوان . فقال : مَهْ ! ذلك أبنُه أبو عمرو . قال:هذا شىء قُلتُموه بعدُ وأَحدثتموه، فأمَّا[2] الذى عرفتُ فهو الذى أخبرتُك به .

خندف

وولدُ اليأس بن مُضر يُقَال لهم : خِنْدِف، وسُمُّوا بأُمهم خِنْدِفَ ، وهو لقبُها. واسمُها لَيْلى بنت حُلْوان[3] بن عِمْران بن الحَافِ بن قُضاعة . وهى أُم مُدْرِكة ، وطابخة ، وقَمعَة[4] ، بَنى اليأس .

الأعياص والعنابس

وكان لأُمَيَّة بن عبد شَمس أحدَ عشرَ ولداً ، وهم : العاص ، وأبو العاص، والعِيص ، وأبو العِيص ، والعُوَيص — ويقال لهؤلاء : الأعياص — وحَرْب ، وأبو حَرْب ، وسُفْيان ، وأبو سفيان، وعَمرو، وأبو عمرو . ويقال لهم العَنَابس؛ لأنهم ثبتوا مع أخيهم حَرْب بن أُمية بعُكَاظ وعَقَلوا أنفسَهم وقاتلوا قتالاً شديداً ، فشُبِّهوا بالأُسد . والأُسْد يقال لها : العَنابسُ ، واحدها عَنْبَسَة . وفى الأعياص يقول عبد الله بن فَضَالة :

وفود ابن فضالة على ابن الزبير

مِنَ الأَعياصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغَرَّ كغُرَّةِ الفَرَسِ الجَوادِ

قيل : أَتَى عبدُ الله بن فَضالة الوَالبىّ ثم الأَسدىّ، من أسد بن خُزَيمة ، عبدَالله ابن الزُّبير ، فقال: نَفِدَتْ نَفَقَتى ، ونَقِبتْ راحِلَتى[5] . فقال: أَحْضِرها. فأَحْضرها.

(١) رواية بعض أصول الأغانى : «فى جبينه» .

(٢) رواية بعض أصول الأغانى : « ولما» .

(٣) فى السيرة لابن هشام : «وخندف بنت عمران » .

(٤) اسم مدركة : عامر . واسم : طابخة : عمرو . واسم قمعة: عمير . وقد ذكر ابن هشام العلة فى تلقيبهم بهذه الألقاب .

(٥) نقبت الراحلة : رقت أخفافهـا وحفيت ، حتى يتمزق فرسنها . وفى حديث أبى موسى : «فنقبت أقدامنا» أى رقت جلودها وتنقطت من المشى .

فقال : أَقْبِل بها ، أَدْبِر بها . ففعل . فقال : أَرْقِعْها بسِبْتٍ[١] ، واخصِفْها بهُلْبٍ[٢] ، وأَنْجِدْ[٣] بها يَبْرُدْ خُفُّها ، وسِرْ بها البَرْدَيْن[٤] تَصِحّ . فقال : إنى أتيتُك مُستحمِلاً ولم آتك مُستوصفاً ، فلعن الله ناقةً حملتْنى إليك . فقال : إنَّ ورا كبَها . فانصرف عنه ابنُ فَضالة ، وقال :

أَقـول لِغِلْمَـتِى شُـدُّوا رِكابِى ... أُجاوِزْ بَطْنَ مكةَ فى سَوَادِ[٥]
فمـالى حينَ أَقْطع ذاتَ عِرْقٍ ... إلى أُبن الـكاهليّـة من مَعَادِ[٦]
سيُبْعِد بيننـا نَصُّ المَطـايا ... وتَعْليقُ الأَداوَى والمَـزادِ[٧]

(١) السبت ، بالكسر : كل جلد مدبوغ ، وخص بعضهم به جلود البقر ، مدبوغة كانت أم غير مدبوغة . قال الأزهرى : كأنها سميت سبتية ، لأن شعرها قد سبت عنها ، أى حلق وأزيل .

(٢) الهلب ، بالضم : الشعر كله ، وقيـل : هو فى الذنب وحده ، وقيل : هو ما غلظ من الشعر . وزاد الأزهرى : كشعر ذنب النـاقة . وقال الجوهرى : هوشعر الخنزير الذى يخرز به . واخصفها ، أى ضمها واخرزها .

(٣) أنجد الرجل : ارتفع وأتى النجد من الأرض ، وهو المرتفع ، وهو أبرد من الغور .

(٤) البردان : الغداة والعشى ، كالأبردين . والرواية فى الأغانى : « وسر البردين » .

(٥) نسب البغـدادى فى الخزانة (٢ : ١٠٠ ــ ١٠٣) هـذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسدى . وذكره أبوالفرج فى الأغانى (١٠ : ١٧٣ طبعـة بلاق) منسوبا لفضالة ابن شريك .

(٦) ذات عرق : مهل أهل العراق ، وهو الحد بين نجد وتهامة . وقيل : عرق : جبل بطريق مكة ، ومنه : ذات عرق . وقال الأصمعى : ما ارتفع من بطن الرمة ، فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق . وعرق : هو الجبل المشرف على ذات عرق . والكاهلية : زهراء بنت خثراء ، امرأة من بنى كاهل بن أسد ، وهى أم خويلد بن أسد بن عبد العزى . (انظر معجم البلدان ، والأغانى ١٠ : ١٧٣ طبعة بلاق) .

(٧) النص : ضرب من السير سريع . وهو فى الأصل : منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها . والأداوى : جمع إداوة ، وهى إناء صغير من جلد يتخذ للماء ، وقيل : إنما تكون إداوة ، إذا كانت من جلدين قوبل أحدهما بالآخر . وكان قياس الجمع : أدائى ، مثل رسالة ورسائل ، فتجنبوه وفعلوا به ما فعلوا بالمطايا والخطـايا ، فجعلوا فعائل فعالى وأبدلوا هنـا الواو ليدل على أنه قـد كانت فى الواحد واوا ظاهرة ، فقالوا : أداوى . فهذه الواو بدل من الألف الزائدة فى إداوة ، والألف التى فى آخر الأداوى بدل من الواو التى فى إداوة ، وألزموا الواو هاهنا كما ألزموا اليـاء فى مطـايا .

أرى الحاجاتِ عنـد أبى خُبَيْب نُـكِدْن ولا أُميَّـةَ فى البـلاد
مِن الأَعْياص أو من آل حَرْب أَغرَّ كـغُرة الفَرَس الجَوَاد

كان عبد الله بن الزُّبير يُـكْنَى أبا خُبيب ، وأبا بكر ، وأبو بكر هو المعروف . ولم يكن يَـكْنِيه أباخُبيب إلّا من أراد ذمَّه ، فيجعله كاللَّقب له[1] . فقال ابن الزُّبير، لمَّـا بلغه الشعرُ : عَـلِم أنها شرُّ أُمّهاتى فعيّرنى بها ، وهى خيرُ عَمّاته[2] .

ولفظة « إن » هاهنا بمعنى نعم .

مقتل ابن أبى معيط والنضر

وكان عُقبة بن أبى مُعَيط أحدَ الأُسَراء يوم بدر ، فأَمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم بقَتْله . فقُتِل بين يديه صَبْراً[3] .وكان الذى تولّى قَتله علىُّ بن أبى طالب رضى الله عنه ؛ وقيل : بل قَتله عاصم بن ثابت بن أبى الأَقْلح الأنصارىّ . ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالصَّفْراء[4] أَمر علىَّ بن أبى طالب ، فَضرب عُنق النَّضْر بن الحارث بن كَلَدة ، أحدَ بنى عَبْـد الدَّار ، فقُتـل بين يديه صَبْراً .

قلتُ : لم يقتل رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من الأسرى غير هذين ، وكانَا شديدَى العداوة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فأَمَّا عُقبة فإنه أَتى النبىَّ صلّى الله عليه وسلّم ، وهو يصلى فى الحِجْر ، فوضع ثوبه فى عُنقه وخَنقه به خَنْقاً شديداً .

---

(١) قال الثعالبى فى لطائف المعارف : « كان لابن الزبير ثلاث كنى : أبو خبيب ، وأبوبكر ، وأبوعبد الرحمن . وكان إذا هجى كنى بأبى خبيب » .

(٢) فى الخزانة (٢ : ١٠٠) : «لوعلم أن لى أما أحسن من عمته الكاهلية لنسبنى إليها».

(٣) الصبر : نصب الإنسان للقتل . يقال : قتله صبرا ، وقد صبره عليه . وقيل للرجل يقدم فيضرب عنقـه : قتل صبرا ، يعنى أمسك على الموت . قال أبو عبيد : وكل من قتل فى غير معركة ولا حرب ولا خطأ ، فإنه مقتول صبرا . وأصـل الصبر الحبس . وفى الحديث : إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل شىء من الدواب صبرا . قيل : هو أن يمسك الطائر أو غيره من ذوات الروح يصبر حياً ، ثم يرمى بشىء حتى يقتل .

فأقبل أبو بكر رضى الله عنه ، وقال : أتقتلون رجلاً أنْ يقولَ ربّىَ الله !

وأمَّا النَّضر فكان إذا تلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على قُريش القرآن قال : إنَّ ما يأتيكم به محمد أساطير الأوّلين ، ويقوم فيحدّثهم بأخبار ملوك الفُرس وغيرهم .

ولما قُدِّم عُقبة بن أبى مُعَيط للقَتْل قال : يا محمد ، أنا خاصّةً من قُريش ؟ قال : نعم . قال: فمن للصِّبْية بعدى ؟ قال : النار . فلذلك سُمِّى بنو أبى مُعيط :صِبْيَةَ النار.

وقال عُمَر بن شَبَّةَ : قُتِل النَّضر بالأُثَيْل(١) .

ولما قُتل النَّضر قالتْ أُختُه(٢) قُتَيلةُ بنت الحارث تَرْثيه :

يا راكباً إنَّ الأُثَيْل مَظِنَّةٌ ... من صُبْح خامسةٍ وأنْتَ مُوَفَّقُ

بَلِّغْ(٣) به مَيْتاً فإن(٤) تحيّةً ... ما إنْ تَزال بها الرَّكائِبُ تَخْفِق

منِّى إليه وعَبرةً مَسْفوحَةً ... جادتْ بَوادرها(٥) وأُخرى تَخْنُق

هَلْ يَسْمَعنَّ(٦) النَّضْرُ إنْ ناديتُه ... إنْ كان يَسمع هالكٌ أو يَنْطق

ظَلَّتْ سُيوفُ بنى أبيه تَنُوشُه ... لله أَرْحامٌ هُناك تُشَقَّق

صبراً(٧) يُقادُ إلى المنيّة مُتْعَباً ... رَسْفَ(٨) المُقيَّد وهو عانٍ مُوثَق

---

(١) الأثيل : موضع قرب المدينة ، بين بدر ووادى الصفراء . (انظر ياقوت) .

(٢) قال ياقوت : هى ابنته . وكذا فى حماسة أبى تمام والبحترى .

(٣) فى حماسة البحترى : : «أبلغ» .

(٤) فى حماسة البحترى : «بأن» .

(٥) فى حماسة أبى تمام : «جادت لمائحها» . وفى حماسة البحترى : «جادت بوابلها».

(٦) فى حماسة أبى تمام : «فليسمعن» .

(٧) فى حماسة البحترى : « قسرا» . والبيت ساقط من حماسة أبى تمام .

(٨) فى حماسة البحترى : «رتك» . والرتك : مشية فيها اهتزاز ، يستعمل فى الإبل وفى غيرها ، إلا أنه فى الإبل أكثر.

أمحمـدٌ ولأنتَ نَسْلُ[١] نَجيبةٍ في قَومهـا والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِق
ما كان ضَرَّك لو مَنَنْتَ ورُبَّما مَنَّ الفتى وهو المَغيظ المُحْنَق
لو كنتَ قابِلَ فِدْيةٍ فلنأتينْ[٢] بأعزِّ ما يَغْلو لديك ويَنْفُق
فالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَن أخـذتَ بزلّةٍ[٣] وأحقُّهم إنْ كان عِتْقٌ يُعْتَق

قال : فبلغنا أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال : لو سمعتُ هـذا قبل أن أقتُـلَه ما قتلتُه . فيقال : إنّ شعرها أكرمُ شـعرٍ مَوْتورة[٤] وأعفُّه .

وقال ابن إسحاق : إنّ قَتْل عُقْبة كان بِعِرْق الظَّبْيَة[٥] .

من خبر الوليد ابن عقبة

وكان الوليدُ بن عُقْبة بن أبى مُعَيط ، أخا عُثْمان بن عفّان رضى الله عنه لأُمه ، أُمهما أَرْوَى بنتُ عامر بن كُريز ، وأُمهـا أُم حَكيم ، البَيْضاء بنتُ عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مَناف . والبيضاء وعبدُ الله أبو رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تَوْأمان . وكان عُقْبة تزوّج أَرْوَى بعـد وفاة عفّان ، فولدت له الوليدَ ، وخالداً ، وعُمَارة ، وأُمّ كُلْثوم ، كُل هؤلاء إخوة عثمان لأُمه .

وولّى عثمانُ رضى الله عنه الوليدَ بن عُقْبة فى خلافته الـكوفةَ ، فَشرب الخمرَ وصلّى بالناس وهو سَكْران فزاد فى الصلاة . فشُهد عليه بذلك عند عثمان ، فجلَده الحدَّ . وسيأتى خبرُ ذلك فى موضعه .

اسم أبى قطيفة وكـنيته ولقبه

وأبو قَطيفة بن الوليـد بن عُقْبة اسمُه عمرو ، ويُـكنى أبا الوليد . وأبو قَطيفة لقبٌ له . والشعر الذى لأبى قطيفة المُصدَّر به ذِكْره ، هو :

---

(١) فى حماسة أبى تمام : «ضنء» . والضنء : الولد . وفى حماسة البحترى : «صنو» .
(٢) فى حماسة البحترى : «لفديته» . والبيت ساقط من حماسة أبى تمام .
(٣) فى حماسة البحترى : «أخذت وسيلة» . وفى حماسة أبى تمـام : «أصبت وسيلة» .
(٤) الموتور : من قتل له قتيل فلم يدرك بدمه .
(٥) الظبية ، بضم الظاء وسكون الباء : موضع على ثلاثة أيام مما يلى المدينة . (انظر ياقوت) .

القَصْر فالنَّخْلُ فالجَمَّـاء بينهما أَشْهَى إلى القلب من أكناف جَيْرونِ
إلى البَـلاط فما حَازت قَرائنُـه دُورٌ نَزَحْن عن الفحشاء والهُون
قد يكتُمُ النـاسُ أسراراً فأَعلمُهـا ولا يَنالون حتى الموتِ مكْنونى

خبر قصر سعيد ابن العاص

القصر، الذى عناه: قصرُ سَعيد بن العاص بالعَرْصـة. والنخل: نخل كان لسعيد هُناك بين قَصْره وبين الجمّاء. والجماء: هى أرض كانت له، فصار جميعُ ذلك لمعاوية بن أبى سُفيان بعد وفاة سَعيد.

ذُكر أنّ سَعيد بن العاص لمـا حضرتْه الوفاةُ وهو فى قصره هذا قال له ابنُه عمرو: لو نزلتَ إلى المدينة! فقال: يا بُنَىّ، إنّ قَوْمى لن يَضَنُّوا علىّ بأن يَحملونى على رِقابهم سـاعةً من نهار، فإذا أنا مِتُّ فآذِنْهم، وإذا واريتنى فانطلق إلى معاوية فانْعَى له وانظُر فى دَيْنى، واُعلم أنه سـيَعْرِض عليك قَضاءه فلا تَفْعل، واُعْرِض عليه قَصْرى هـذا فإنّى إنما اتّخذتُه نُزهة وليس بمال. فلما مات آذَن به الناسَ، فحملوه من قَصره حتى دُفن بالبَقيع. ورواحلُ عمرو بن سعيد مُناخة، فعزّاه الناسُ على قبره وودّعوه. وكان هو أوّلَ من نعاه لمعاوية، فتوجّع له وترحّم عليه، وقال: هل تَرَكَ دَيْناً؟ قال: نعم. قال: كم هو؟ قال: ثلثمائة ألف [درهم][1]. قال: هى علىّ. قال: قـد ظَنَنّ ذلك وأَمرنى ألّا أَقبلَه منك، وأن أَعرضَ عليك بعضَ ماله فتبتاعَه فيكونَ قضاءَ دينه منه. قال: فاعرضْ. قال: قَصْره بالعَرْصة. قال: قد أخذتُه بدَيْنه. قال: هو لك على أن تَحْملها إلى المدينة وتجعلها بالوَافية[2]. قال: نعم. فحملها له إلى المدينة وفرّقها فى غُرمائه. وكان أكثرها عِدَاتٍ.

عمرو بن سعيد وقرشى كان يدين أباه

فأتاه شَابٌّ من قُرَيش بصَكٍّ فيه عشرون ألف دِرْهم بشهادة سَعيد على نَفْسه

(١) زيادة من الأغانى عن نسخة.

(٢) الوافى: درهم وأربعة دوانق. والدانق: سدس الدرهم.

وشهادة مولًى له عليه . فأرسل إلى مولاه فأقرأه الصكّ . فلما قرأه بكى وقال : نعم ، هذا خطُّه وهذه شهادتى عليه . فقال له عمرو : ومن أين يكون لهذا الفتى عِشْرون ألفَ دِرْهم ، و إنما هو صُعلوك من صعاليك قُريش ! قال : أُخبرك عنه : مرَّ سَعيدٌ بعدعَزْله فاعترض له هذا الفتى يمشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سَعيد فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلّا أنى رأيتُك تمشى وحدَك فأحببتُ أن أمشىَ معك لأَصِل جَناحك . فقال لى : أُئتنى بصحيفة . فأتيته بهذه ، فكتب له على نفسه هذا الدَّينَ وقال : إنك لم تُصادف عندنا شيئاً فخُذْ هذه ، فإذا جاءنا شىء فأْتنا . فقال عمرو : لا جَرم واللهِ ، لا تأخذُها إلّا بالوافية ، أعطه إيّاها . فَدفع إليه عشرين ألف درهم وافيةً .

من جود سعيد

وقيل : كان الرّجلُ يأتى سَعيداً يسأله ولا يكون عنده ، فيقول : ما عندى ، ولكن اكتُب علىّ به . فيكتُب عليه كتاباً ، فيقول : تُرَوْنِى أخذتُ منه ثمنَ هذا ؟ لا ، ولكنه يجىء فيسألنى ، فيَنْزو دمُ وجهه فى وجهى فأكره ردَّه . فأتاه مولًى لقريش بابن مَوْلاه ، وهو غلام ، فقال : إنّ أبا هذا قد هَلك وقد أردنا تَزْويجَه . فقال : ما عندى ، ولكن خُذ ما شئت فى أمانتى . فلما مات سعيدُ ابن العاص جاء الرجل إلى عمرو ، فقال : إنى قد أتيتُ أباك بابن فلان ، وأخبره القصة . فقال له عمرو : فكم أخذتَ ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : مَن رأى أعجز من هـذا ؟ يقول له سعيد : خُذ ما شئت فى أمانتى ، فيأخذ عشرة آلاف . والله لو أخذتَ مائة ألف لأديتُها عنك .

و« القرائن » المذكورة فى شعر أبى قطيفة حيث يقول :

* إلى البلاط فما حازت قَرائنُه *

هى دُور كانت لبنى سعيد بن العاص مُتلاصقة ، سُمِّيت بذلك لاقترانها .

ذكر نَفْي بنى أُمية عن المدينة

قيل: لمّا سار الحُسين بن علىّ عليهما السلام إلى العراق شَمَّر ابن الزُّبير للأمر الذى أراده ، ولَبِس المَعافِرِىّ[١] وشَبَر بَطْنه وقال : إنما بَطْنى شِبْر ، وما عسى أن يَسع الشِّبر[٢] . وجعل يُظْهر عَيْب بنى أُميـة ويَدْعو إلى خِلَافهم . فأمهله يزيدُ ابن معاوية سنةً ، ثم بعث إليه عشرةً من أهل الشام، عليهم النُّعمان بن بَشير الأَنصارىّ[٣] . وكان أهل الشام يُسمُّون أولئك النَّفر العَشْرة الرَّكْبَ ، وهم: عبدالله ابن عِضَاه الأَشْـعرى[٤] ، ورَوْح بن زِنْباع الجُذَامِىّ[٥] ، وسَـعْد بن حَمْزة الهَمْدانى ، ومالك بن هُبـيرة السَّكُونى[٦] ، وأبو كَبْشـة السَّـكْسَكى[٧] ،

(١) المعافرى : نوع من الثياب ينسب إلى معافر ، قبيلة من اليمن عرفت به .

(٢) يشير إلى زهده واجتزائه بالقليل .

(٣) هو أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة . له ولأبويه صحبة . وأمه عمرة بنت رواحة . ولد على رأس أربعة عشر شهرا من الهجرة . وهو أول مولود ولد فى الأنصار بعد قدوم النبى صلى الله عليه وسلم . وكان من أخطب الناس . أمره معاوية على الكوفة ثم عزله وولاه حمص . بايع لابن الزبير بعد موت يزيد، فلما تمرد أهل حمص خرج هاربا، فأتبعه خالد بن خلى الكلاعى فقتله. وكان ذلك سنة ست وستين . (انظر تهذيب التهذيب).

(٤) هذه رواية ابن عساكر . وأما ابن حجر فى كتابه «الإصابة» فقد ذكر أنه عبد الله ابن عصام . ثم قال: شامى . وعرض لرواية ابن عساكر ونقل عنه أنه شهد صفين مع معاوية . وكان رسول يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن الزبير فى طلب البيعة ، فإنه كان ممن استخلفه مسلم بن عقبة لما فرغ من وقعة الحرة . وقصد مكة فأدركته الوفاة .

(٥) هو أبو زرعـة روح بن زنباع بن روح بن سلامى الجذامى . قال ابن حجر : ذكره بعضهم فى الصحابة، ولا تصح له صحبة، بل يجوز أن يكون ولد فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم، فإن لأبيه صحبة ورواية . وكان أميرا على فلسطين . ومات سنة اربع وثمانين.

(٦) هو أبو سعيد مالك بن هبيرة بن خالد بن مسلم بن الحارث السكونى . قال البخارى : له صحبة . وقال البغوى : سكن مصر وكان فيمن شهد فتحها . وذكر ابن حجر له صحبة. مات فى زمن مروان بن الحكم . والسكونى ، نسبة إلى سكون ، بفتح السين وضم الكاف : بطن من كندة .

(٧) قال السمعانى : هو عريف السكاسك ، بطن من الأزد . روى عن أبى الدرداء . وذكر ابن حجر فى التهذيب نقلا عن الحاكم فى المدخل أن اسمه : البراء بن قيس . وقيل : إن البراء بن قيس كنيته أبو كيسة ، بياء مثناة من تحتها وسين مهملة .

وزَمْل[١] بن عمرو العُذْرِىّ[٢]، وعبدالله بن مَسْعود، وقيل: ابن مَسعدة الفَزارىّ[٣]، وأخوه عبد الرحمن ، وشَرِيك بن عبد الله الكِنانىّ[٤]، وعبد الله بن عامر الهَمْدانىّ[٥] . فأقبلوا حتى قَدِموا مكةَ على ابن الزُّبير . فكان النعمانُ يخلو به فى الحِجْر كثيراً ، فقال له عبدُالله بن عِضَاه يوماً : يا بن الزُّبير ، إنّ هذا الأنصارىّ والله ما أُمِر بشىء إلّا وقد أُمرنا بمثله ، إلّا أنه قد أُمِّر علينا ، وإنى لأدرى والله ما بين المُهاجرين والأنصار . فقال ابنُ الزبير : ما لى ولك ! إنما أنا بمنزلة حَمَامةٍ من حمام مكة ، أفكنت قاتلاً حماماً من حمام مكة ؟ قال : نعم ، وما حُرمة حمام مكة ! يا غلام ، ائتنى بقوسى وأسْهمى . فأتاه بقوسه وأسهمه . فأخذ سَهماً فوضعه فى كَبد القوس ثم سدّده نحو حمامة من حمام المَسجد، ثم قال : يا حمامة ، أيشرب يزيد بن معاوية الخمرَ؟ قُولى : نعم ، والله لئن فعلت لأرمينّك . يا حمامة، أتخلعينَ يزيد بن معاوية وتُفارِقين أُمَّةَ محمد وتقيمين فى الحرم حتى يُستحلَّ بك ؟ والله لئن فعلت لأرمينّك . فقال ابنُ الزُّبير : ويحك ! أو يتكلّم الطائر؟ قال : لا ، ولكنك يابن الزُّبير تتكلّم ، وأُقسم بالله لتبايعنّ طائعاً أو مُكْرهاً ، أو لتتعرَّفَنّ رايةَ الأشعريّين فى هذه البطحاء ، ثم لا أُعظِّم من حقها ما يُعظَّم . فقال ابن الزبير :

(١) هو زمل ، وقيل زميل ، بن عمرو بن عنز العذرى . وفد على النبى صلى الله عليه وسلم . وشهد صفين مع معاوية ، وكان أحد شهود التحكيم بها . واستعمله يزيد بن معاوية على خاتمه ، وشهد بيعة مروان بالجابية . وقتل يوم مرج راهط سنة أربع وستين .

(٢) ذكر ابن حجر فى الإصابة أنه عبد الله بن مسعدة بن حكمة بن مالك . والذى ذكره ابن عبد البر : عبد الله بن مسعدة بن مسعود بن قيس . ونقل ابن حجر عن ابن حبان : عبد الله بن مسعدة بن مسعود . وكان عبد الله فى سبى بنى فزارة . فوهبه النبى صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة فاعتقته . وكان صغيراً فتربى عندها . ثم كان عند على، ثم كان بعد ذلك عند معاوية ، وصار أشد الناس على علىّ . ثم كان على جند دمشق بعد الحرة، وبقى إلى خلافة مروان .

أو تَستَحلّ الحرم ؟ قال : إنما يَستحلّه من أَلْحد فيه . فَحبَسهم شهراً ثم رَدَّهم إلى يزيدَ بنِ معاوية ، ولم يُجبْه إلى شىء .

وقال أبو العبَّاس الأعمى[1] فى شَبْر ابن الزُّبير بَطْنَه :

ما زال فى سُورة الأعراف[2] يدرسُها
حتى بدا لىَ[3] مثلَ الخزّ فى اللّينِ
لو كان بطنُك شِبراً قد شَبِعتَ وقد
أفْضلت فضلاً كثيراً للمساكين

ومضى ابنُ الزُّبير إلى صفيّة بنت أبى عُبيد ، زوجةِ عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، فذكر لها أن خُروجَه كان غضباً لله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والمهاجرين والأنصار ، من أَثَرة معاويةَ وابنِه يزيدَ بالفَىء ، وسألها مَسْألتـه أن يبايعَه . فلما قدّمت له عِشاءه ذكرت له أَمْر ابن الزبير واجتهادَه وأثْنت عليه ، وقالت : ما يدعو إلاّ إلى طاعة الله عزّ وجل ، وأكثرت القولَ فى ذلك . فقال لهـا : أما رأيتِ بَغَلاتِ معاوية التى كان يحُجّ عليهن الشُّهْبَ ؟ فإن ابنَ الزُّبير ما يريد غيرَهن .

وأقام ابنُ الزُّبير على خَلْع يزيدَ بن معاوية ، ومالأه الناس على ذلك، فدخل

---

(١) هو أبو العباس السائب بن فروخ المكى . شاعر هجاء من أنصار بنى أمية . أكثر شعره فى هجاء آل الزبير، غير مصعب، لأنه كان يحسن إليه . (انظر نكت الهميان، ومعجم الشعراء للمرزبانى) .

(٢) لعله أراد الإشارة إلى قوله تعالى فى سورة الأعراف (يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) .

(٣) فى الأصل : «فؤادى» مكان « بدالى » . وهى رواية أكثر أصول الأغانى .

عليه عبدُ الله بن مُطيع[١]، وعبد الله بن حَنْظلة ، [٢]وأهلُ المدينة ، المسجدَ وأتَوْا المِنْبر وخلعوا يزيدَ . فقال عبد الله بن أبى عمرو بن حَفْصِ بن المُغيرة المخزومىّ : خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتى ، ونزعها عن رأسه ، وقال : إنى لأقول هذا وقد وصلنى وأحسن جائزتى، ولكنّ عدوّ الله سكّير . وقال آخر : خلعتُه كما خلعتُ نَعلى . وقال آخر : خلعتُه كما خلعتُ ثوبى . وقال آخر : خلعته كما خلعت خُفِّي . حتى كثُرت العمائم والنِّعال والخِفاف ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك . وامتنع منه عبدُ الله بن عُمر ، ومحمّد بن علىّ بن أبى طالب . وجرى بين محمدٍ خاصةً و بين أصحاب ابن الزُّبير فيه قولٌ كثير ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك . فخرج إلى مكة . وكان هذا أولَ ما هاج الشرَّ بينه و بين ابن الزُّبير .

وقعة الحرة

واجتمع أهلُ المدينة لإخراج بنى أُمية عنها ، وأخذوا عليهم العهُود ألا يُعينوا عليهم الجيش وأن يردُّوهم عنهم ، فإن لم يقدروا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبى سُفيان : أَنْشدكم الله فى دمائكم وطاعتكم ، فإنّ الجنود تأتيكم وتَطؤكم ، وأُعْذِر لكم ألاّ تُخرجوا أميرَكم ، إنكم إن ظَفرتم وأنا مُقيم بين أظهركم فما أيْسر شأنى وأَقْدَركم على إخراجى، وما أقول هذا إلاّ نظراً لكم،

(١) هو عبد الله بن مطيع بن الأسود الكعبى القرشى العدوى ، من رجال قريش جلدا وشجاعة . ولد فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم . وكان على قريش يوم الحرة ، فلما انهزم أصحابه توارى فى المدينة . ثم سكن مكة . واستعمله ابن الزبير على الكوفة ، فأخرجه المختار ابن أبى عبيد منها . فعاد إلى مكة، فلم يزل بها إلى أن قتل مع ابن الزبير فى حصار الحجاج له ، وأرسل رأسه إلى الشام مع رأس ابن الزبير وصفوان . (انظر الإصابة، وتهذيب التهذيب).

(٢) هو أبو عبد الرحمن — وقيل أبو بكر — عبد الله بن حنظلة بن أبى عامر الأنصارى . وأبوه حنظلة المعروف بغسيل الملائكة . ولد عبد الله سنة أربع . وقتل يوم الحرة . وكان أمير الأنصار يومئذ ، وذلك سنة ثلاث وستين . حكى ابن حجر أن ممن وفد إلى يزيد بن معاوية : عبد الله بن حنظلة معه ثمانية بنين له ، فأعطاه مائة ألف وأعطى بنيه كل واحد عشرة آلاف . فلما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا : ما وراءك ؟ قال : أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد إلا بنى هؤلاء لجاهدته بهم .

أُريد به حَقْن دمائكم . فشَتموه وشَتموا يزيدَ، وقالوا : لا نبدأ إلاَّ بك ، ثم نُخرجهم بعدك . فأتى مروانُ بن الحكم عبدَ الله بن عُمر رضى الله عنهما ، فقال : يا أبا عبد الرّحمن ، إن هؤلاء القوم قد رَكبونا كما [1] ترى ، فما تَرى فى ضَمّ عيالنا؟ فقال : لستُ من أمركم وأمر هؤلاء فى شىء . فقام مروان وهو يقول : قَبَح الله هذا أمراً وهذا دِيناً ! ثم أتى علىّ بن الحُسين عليهما السلام ، فسأله أن يضُم أهلَه وثَقَلَه، [2] ففعل ، ووجّهم وامرأته أُمّ أَبان بنت عثمان إلى الطائف، ومعها أبناه : عبدُ الله ، ومحمد . فعرض حُرَيث رَقّاصة ، وهو مولى لبنى بَهْز من سُلَيم ـ كان بعضُ عُمّال المدينة قطع رِجْله ، فكان إذا مَشى كأنه يرقُص ، فسمِّى رقّاصة ـ لثَقَل مروان ، وفيهم أُم عاصم بنت عاصم بن عُمر بن الخطاب ، فضربتْه بعصاً فكادت تدق عُنقه ، فولّى . ومضَوْا إلى الطائف .

قلت : أُم عاصم هذه ، أُم عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه .

قال : وأَخْرجوا بنى أُمية ، فمضوا إلى ذى خُشُب [3] ، وفيهم عثمان بن محمد بن أبى سفيان ، والوليد بن عُتْبَه بن أبى سفيان . وأَتْبعهم العبيدُ والصِّبيان والسَّفِلة يَرْمونهم . وأقامت بنو أُمية بذى خُشُب عشرةَ أيام، وسيَّروا حَبيب بن كَرّةَ إلى يزيد بن معاوية يُعلمونه ، وكتبوا إليه : الغَوْثَ! الغوثَ ! و بلغ أهلَ المدينة أنهم وجّهوا رجلاً إلى يزيد . فخرج محمد بن عمرو بن حَزْم ، ورجل من بنى سُلَيم، من بَهْز، وحُرَيث رقّاصة، وخمسون راكباً، فأزعجوا بنى أُمية منها ؛ فنخس حُرَيثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخّر عنها وزَجرها وقال : أُعْلَ وأُسْلَمِى . فلما كانوا

(١) فى بعض أصول الأغانى : « بما » .

(٢) الثقل : المتاع والحشم .

(٣) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة .

بالسُّويداء [١] عَرض لهم مولًى لمروان ، فقال : جُعلتُ فِداكَ ! لو نزلتَ فأرحْتَ وتغدَّيت ، فالغَداء حاضر . فقال : لا يَدَعُنى رقَّاصةُ وأشباهُه ، وعسى الله أن يمكِّن منه فتُقْطعَ يَدُه . ونظر مروان إلى ما له بذى خُشُب ، فقال : لا مالَ إلا ما أحرزتْه العِياب . فمضَوْا فنزلوا حَقِيلاً [٢] ، أو وادى القُرى . [٣] وفى ذلك من فعلهم يقولُ الأحوص :

لا تَرْثِيَنّ لِحَزْميٍّ رأيتَ به ضُرًّا ولو أُلْقِى الحَزميّ فى النَّارِ
الناخسين بمَرْوانٍ بذى خُشُب والمُقْحمين على عُثْمانَ فى الدّار

فدخل حبيب بن كرّة على يزيد بن معاوية ، وهو واضع رجلَه فى طَسْت لوَجَع كان يجدُه ، بكتاب بنى أُمية ، وأخبره الخبر . فقال : أما كان بنو أمية ومواليهم ألفَ رجل ؟ قال : بلى ، وثلثةَ آلاف . قال : أفعجزوا أن يُقاتلوا ساعةً من نهار ؟ قال : كَثَرَهم الناسُ ولم تكن لهم بهم طاقةٌ .

فندب الناسَ وأَمَّر عليهم صَخْر بن أبى الجَهْم . فمات قبل أن يَخْرج الجيشُ . فأَمَّر مُسلم بن عُقْبة الذى يُدعى مُسْرِفاً . فقال ليزيد : ما كنتَ مُرسلاً إلى المدينة أحداً إلا قَصّر ، وما صاحبُهم غيرى ، إنى رأيتُ فى منامى شجرةَ غَرْقد تَصيح : على يدىْ مُسلم . فأقبلتُ نحو الصوتِ فسمعتُ قائلا يقول : أدركْ ثَأرك أهلَ المدينة قتلةَ عُثمان . فخرج مُسلم ، وكان من قصة الحرّة ما كان على يده ، وليس هذا موضعَه .

قلت : إنّ مُسلماً أتى المدينةَ فقاتل أهلَها فهزمهم ودخلها ، وقتل المهاجرين والأنصار ، وأباحها ثلاثة أيام ، ثم أخذ البيعة على مَن بقى ، أنهم خَوَلٌ ليزيد

(١) السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام . (عن ياقوت) .
(٢) حقيل : موضع .
(٣) وادى القرى : واد بين المدينة والشام ، كثير القرى . (عن ياقوت) .

ابن معاوية ، وكل مَن امتنع مِن أن يبايع كذلك ضرب عُنقه . ثم توجّه إلى مكة لمحاربة ابن الزبير ، فمات فى الطريق ، فقام بأمر الجيش الحُصين بن نُمير السَّكونى[1] . فتقدّم بالجيش إلى مكة وحاصرها ورمى الكعبة ، شرّفها الله ، بالمَنْجنيق والنار حتى تهدّمت الكعبة . ولم يزل مُحاصراً مكة حتى وصل إليه نَعْىُ يزيد بن معاوية ، فرجع بالجيش إلى الشام ، وبايع ابنُ الزبير لنفسه بالخلافة .

شعر أبى قطيفة فى حنينه إلى المدينة

قال أبو الفرج : فقال أبو قطيفة فى ذلك :

بَكَى أُحُـد لما تَحمّل أهـلُه ... فكيف بذى وَجْد من القوم آلِفِ
من أجْل أبى بكر جَلَت عن بلادها ... أُمَيـةُ والأيّام ذاتُ تَصَارِف

وقال أيضاً :

بكى أُحُـد لما تحمّل أهـلُه ... فَسَلْع[2] فدارُ المال أَمست تَصدَّعُ
وبالشام إخوانى وجُلّ عَشيرتى ... فقد جَعَلت نفسى إليهم تَطَلَّع

ولما طال مقامُه بالشام[3] قال :

ليت شِـعْرى وأين منّى ليتُ ... أعَلَى العَهْد يَلْبَنٌ[4] فَبَرَامُ
أم كعهْدى العَقيقُ أم غَـيَّرتْه ... بعـدىَ الحادثاتُ والأيام
وبأهلى بُدِّلْت عَكّاً ولَخْماً ... وجُذَاما وأين منّى جُـذَام
وتبدَّلْتُ من مساكنِ قَوْمى ... والقُصورِ التى بها الآطامُ
كُلّ قَصْر مُشيَّد ذى أَوَاسٍ[5] ... يَتغنَّى على ذُراه الحَمام

(١) هو الحصين بن نمير الكندى ، ثم السكونى الحمصى . ترجم له صاحب : تهذيب التهذيب .
(٢) سلع : موضع بقرب المدينة (عن ياقوت) .
(٣) كان ابن الزبير قد نفاه مع من نفى من بنى أمية عن المدينة إلى الشام .
(٤) يلبن : جبل قرب المدينـة . وبرام ، بفتح أوله وكسره : جبل فى بلاد بنى سليم عند الحرة من ناحية البقيع (عن ياقوت) .
(٥) الأواسى : جمع آس ، وهو الأصل . ويروى : «ذى أواش» بشين معجمـة ، كأنه أراد أن هذه القصور موشية ، أى منقوشة .

قرَ منِّى السلامَ إن جئتَ قَوْمى وقليلٌ لهم لدىّ السلامُ
أَقْطَعَ الليلَ كُلَّه بزَفيرٍ واكتئابٍ فما أكادُ أَنَام
نحو قومى إذ فَرَّقت بيننا الدا رُ وجارت عن قصدها الأحلام
خَشْيةً أنْ يُصيبَهم عَنَتُ الدَّهْـ ـر وحَرْبٌ يَشِيب منها الغُلام
فلقد حان أن يكونَ لهذا الدَّهْرِ عنَّا تَباعُدٌ وانصرام

عفو ابن الزبير عن أبى قطيفة

قيل: إنَّ عبد الله بن الزُّبير لما بلغه شعرُ أبى قطيفة قال: حَنَّ والله أبو قطيفة، وعليه السلامُ ورحمة الله، من أتاه فَلْيخبره أنه آمن فَلْيرجع. فأُخْبر بذلك، فأنكفأ راجعاً إلى المدينة، فلم يصل إليها حتى مات.

خبر زهرية سمعت من شعره

وذُكر أن امرأة من بنى زُهْرة خرجتْ فى خِفّ، (١) فرآها رجلٌ من بنى عبد شَمْس من أهل الشام، فأعجبتْه، فسأل عنها، فنُسبت له. فخطبها إلى أهلها، فزوّجوه إياها بكَرْهٍ منها. فخرج بها إلى الشام، فخرجتْ مَخْرجاً، فسمعت متمثِّلا يقول: والأبيات لأبى قطيفة:

ألا ليتَ شِعْرى هل تَغير بعدنا جَبُوبُ المُصلَّى أم كهدى (٢) القرائنُ
وهل أَدْوُرٌ حول البَلاط عَوامِرٌ من الحىّ أم هل بالمدينة ساكِن
إذا برقتْ نحو الحجاز سحابةٌ دعا الشوقَ منّى برقُها المُتيامِن
فلم أَتْرُكَنْها رغبةً عن (٣) بلادها ولكنّه ما قدَّر اللهُ كائن
أَحِنُّ إلى تلك الوجوه صَبابةً كأنى أسيرٌ فى السَّلاسل راهِن

فتنفسّت بين النساء فوقعتْ ميتةً.

قيل: إن هذه المرأة هى حُميدة بنت عمر بن عبد الرحمن بن عَوْف، رضى الله عنه.

(١) يقال: خرج فلان فى خف من أصحابه، أى فى جماعة قليلة. والذى فى الأصل «فى حق» تحريف.

(٢) الجبوب: الحجارة والأرض الصلبة. والذى فى الأصل: «جنوب». وما أثبتنا عن ياقوت.

(٣) وفى رواية: «وما أخرجتنا رغبة عن بلادنا».

شعره فى طلاق امرأته

وذُكر أن أبا قطيفة طلّق امرأته ، فقال :

فيا أسفَا لفُرْقة أُم عَمْرو ورِحْـلةِ أهلِها نحوَ العِراقِ
فليس إلى زِيارتها سَبِيلٌ ولا حتَّى القيامةِ من تلاقى
وعَلَّ اللهَ يَرْجِعها إلينـا بموتٍ من حَلِيل أو طَلاق
فأَرْجِـعَ شامتاً وتَقَرَّ عَيْنى ويُجْمَعَ شَمْلُنا بعد افتراق

مقتل سعيد ابن عثمان

وذُكر أنّ معاوية بن أبى سفيان استعمل سَـعيد بن عثمان بن عفّان على خُراسان ، فلما عزله ، قدم المدينةَ بمال وسلاح وثلاثين عَبْداً من السُّغْد[1] ، فأمرهم أن يَبْنُوا له داراً . فبينا هو جالسٌ فيها ومعه ابنُ سَيْحان ، وابن زِينَة ، وخالد ابن عُقبة ، وأبو قَطِيفة ، إذ تآمر العبيدُ بينهم فقتلوه . فقال أبوقطيفة يرثيه ، وقيل إنها لأخيه خالد بن عقبة[2] :

يا عينُ جُودِى بدَمْع مِنكِ تَهْتانَا وأُبكى سعيدَ بنَ عثمانَ بن عَفّانَا
إنّ ابنَ زِينَة لم تصدُقْ مَوَدَّتُه وفَرَّ عنه ابن أَرْطاةَ بنِ سَيْحانا

(١) السغد بالسين ، ويقال بالصاد : ناحية ، من قراها بخارى ، وسمرقند قصبتها . (عن ياقوت) .

(٢) هو أخو عثمان لأمه ، أمها أروى بنت عامر بن كريز . وكان عقبة بن أبى معيط تزوج أروى بعد وفاة عفان ، فولدت له الوليد ، وخالدا ، وعمارة ، وأم كلثوم . كل هؤلاء إخوة عثمان لأمه .

بعض أخبار مَعبد

نسبه

هو مَعْبد بن وَهْب. وقيل: ابن قَطنيّ. وقيل: ابن قَطَن، مولى العاص ابن وَابصة المخْزومىّ: وقيل: بل مولَى مُعاويةَ بن أبى سُفْيان.

كان أبوه أسودَ، وكان هو خِلاَسيًّا [1] مديدَ القامة أَحْولَ.

نشأته ووفاته

ذكر ابن خُرْدَاذْبَه أنه غنّى أول أيام بنى أُمية، وأدرك دولةَ بنى العباس. وقد أَصابه الفَالِجُ وارْتَعش، فكان إذا غَنَّى يُضْحَك منه ويُهْزأ به.

قال أبو الفرج: وابن خُرْدَاذْبه قليلُ التحصيل لما يَرْويه ويُضمِّنه كُتُبَه. والصَّحيح أنَّ معبداً مات فى أيام الوليد بن يَزيد بدِمشْقَ وهو عنده. وقد قيل إنه كان أصابه الفالِجُ، وارْتعش وبَطَل صَوتُه. فأما إدراكهُ دولةَ بنى العبَّاس فلم يَرْوه أحدٌ سوى ابن خُرْدَاذ به، ولا رواه هو عن أحد، وإنما جاء به مُجازفةً.

قال كَرْدَم بن مَعْبد: مات أبى وهو فى عسكر الوليد بن يَزيدَ وأنا معه، فنظرتُ حين أُخْرِج نَعشُه إلى سَلاَّمةِ القَسِّ، جاريةِ يزيدَ بن عبد الملك، وقد أضرب الناسُ عنه ينظرون إليها وهى آخذةٌ بعمود السرير وهى تَنْدُب [2] أبى وتقول:

قد لَعَمْرى بِتُّ لَيْلى ... كأُخى الداء الوَجِيعِ
ونَجِيُّ الهَمِّ منِّى ... بات أدْنَى من ضَجِيعِى

---

(١) الخلاسى: الولد بين أبوين: أبيض وأسود.

(٢) فى بعض أصول الأغانى: «تبكى».

كلما أبصرتُ رَبْعاً خالياً فاضتْ دموعى
قد خلا من سيّدٍ كا ن لنا غَـيْرُ مُضِيع
لا تَلُمْنا إنْ خَشَعنا أو هَمَمْنا بخُشُوع

قال كَردم : وكان يزيدُ أَمر أَبى أن يُعلِّمها هذا الصوت ، فعلَّمها إياه فندبَتْه به يومئذ .

قال :

فلقد رأيتُ الوليدَ بنَ يَزيدَ وأخاه الغَمر متجرِّدَيْن فى قميصين ورِداءين يمشيان بين يدى سريره حتى أُخرج من دار الوليد ؛ لأنه تولّى إخراجه من داره إلى موضع قَبره .

منزلته فى الغناء

وكان معبدُ أحسنَ الناس غِناءً ، وأَجودهم صَنعة ، وأحسنهم حَلْقاً . وهو فحل المُغنِّين ، وإمام أهل المدينة فى الغناء .

أخذه جائزة لابن صفوان

قال معبدُ : قَدِمْتُ مكة فقيل لى : إن ابن صَـفْوان قد سَبَّق بين المغنِّين جائزةً . فأتيتُ بابَه وطلبتُ الدُّخول . فقال لى آذِنُه : قد تقدَّم إلىَّ ألَّا آذَنَ لأحد عليه ولا أُوذِنه به . قال : فقلت : دَعْنى أَدْنُ من الباب فأُغنِّىَ صوتاً . فقال : أمّا هذا فنَعم . فدنوتُ من الباب فغنَّيتُ صوتاً . فقالوا : معبد ! وفتحوا لى ، فأخذتُ الجائزة يومئذ .

مبـــدأ غنائه

وقال معبد : كنتُ غلاماً مملوكا لآل قَطَن مولى بنى مَخْزوم ، وكنتُ أتلقّى الغَنَم بظَهْر الحَرّة ، وكانوا تِجَاراً أُعالج لهم التِّجارة فى ذلك ، فأَتَى صخرةً مُلْقاة بالحرّة باللَّيل فأَستند بها[1] ، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجرى فى مَسامعى . فأقومُ من النوم فأَحْكيه . فهذا كان مبدأ غِنائى .

(١) فى بعض أصول الأغانى : «إليها» .

حديث رجوع ابن سريج والغريض عن المدينة

وذكر أن ابن سُرَيج والغَرِيض قَدِمَا المدينةَ يتعرَّضان لمعروف أهلها ويَزُوران صَدِيقهما من قُرَيش وغيرهم . فلما شارفاها تقدَّما ثقلَهما ليَرتادا منزلاً ، حتى إذا كانا بالمَغْسِلة ، وهى الجبانة على طَرَف المدينة تُغْسل فيها الثياب ، وإذا هما بغُلام مُلْتحف بإزار وطَرَفُه على رأسه ، وبيده حِبالةٌ يتصيّد بها الطيرَ وهو يتغنَّى :

القصرُ فالنَّخْل فالجمَّاء بينهما أشْهَى إلى القلب[1] من أبواب جَيْرونِ

وإذا الغلام مَعْبَد . فلما سَمع ابن سُرَيج والغَرِيض معبداً ما لَا إليه واستعاداه الصوتَ ، فأعاده ، فسمعا شيئاً لم يَسْمعا مثلَه قطُّ . فأقبل أحدهما على صاحبه فقال : هل سمعتَ كاليوم قَطُّ ؟ قال : لا والله ، فما رأيُك ؟ قال ابن سُرَيج : هذا غناء غلامٍ يتصيَّد الطيرَ ، فكيف بمَنْ فى الجوْبةَ ! [2] — يعنى المدينة — فأمّا أنا فثَكِلَتْه والدتُه إن لم أَرْجع . فكرَّا راجعين .

نادرة له فى طريقه إلى الحجاز

وقال مَعْبد : بَعث إلىَّ بعضُ أُمراء الحجاز — وقد كان جُمع له الحرَمان — أنِ اُشْخَص إلى مكة . فَشَخَصْتُ . قال : فتقدَّمتُ غُلامى ، فاشتدَّ علىّ الحرُّ فى ذلك اليوم والعطشُ ، فانتهيتُ إلى خِباء فيه أسودُ ، وإذا حِبَابُ[3] ماء قد بُرِّدتْ ، فملْتُ إليه فقلتُ : يا هذا ، اسقِنى من هذا . فقال : لا . فقلتُ : فأْذَن لى فى الكِنِّ ساعةً . قال : لا . فأَنَخْتُ ناقتى ولجأتُ إلى ظلِّها فاستترتُ به ، وقلت : لو أحدثتُ لهذا الأمير شيئاً من الغناء أَقْدَمُ به عليه ، ولعلِّى أيضاً إن حرَّكتُ لسانى أن يبُلَّ حلقى فيُخفِّفَ عنى بعض ما أجدُ من العطش . فترنمتُ بصوتى :

القَصْر فالنَّخْلُ فالجمَّاء بينهما أشهى إلى القَلْب من أبوابِ جَيرُونِ

(١) فى بعض الأصول الأغانى : «النفس» .

(٢) يريد المدينة ، لأن الجوبة الموضع ينجاب فى الحرة ، والمدينة بين حرتين تكتنفانها .

(٣) حباب : جمع حب ، بالضم ، وهى الجرة ، صغيرة كانت أم كبيرة .

فلما سمعه الأسودُ، ما شَعرتُ به إلاَّ وقد احتملنى فأدخلنى خِباءه ، ثم قال: بأبى أنت وأُمى ! هل لك فى سَوِيق السُّلْت[1] بهذا الماء البارد ؟ فقلت : قد منَعْتَنى أقلُّ من ذلك ، وشربةٌ من ماء تُجْزِئُنى . قال : فسقانى حتى رَوِيتُ ، وجاء الغلامُ، فأقمتُ عنده إلى وقت الرَّواح . فلما أردتُ الرِّحْلة قال : بأبى أنت وأُمى ! الحرُّ شديد، ولا آمَن عليك مثلَ الذى أصابك ، فأْذَنْ لى أحملْ معك قربةً على عُنقى وأسعَى بها معك ، فكلما عطشْتَ سقيتُك صَحْنا وغنَّيتَنى صوتا . فقلتُ : ذلك لك . قال ، :فوالله ما فارقنى يَسْقِينى وأُغنِّيه حتى بلغتُ المنزل .

هو وابن سريج فى بطن مر

وقيل : كان معبد خارجاً إلى مكة فى بعض أسفاره ، فسمع فى طريقه غناءً فى بَطْن مَرّ[2] ، فقصد الموضع ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حَرْف بِرْكة فارِقٌ شعْرَه ، حسنُ الوجه ، عليه دُرَّاعة[3] قد صَبغَها بزَعْفران ، وإذا هو يتغنّى :

حَنَّ قلبى من بعد ما قد أنابا ودَعَا الهمَّ شَجْوُه فأَجَابَا
ذاكَ مِنْ منزلٍ لسَلْمَى خَلاَء لابسٍ من خَلاَئِه جِلْبَابَا
عُجْتُ فيه وقلتُ للرَّكْب عُوجُوا طَمَعاً أن يَرُدَّ ربعٌ جوابا
فاستثار المَنْسىَّ من لَوْعة الحُبّ وأبدى الهمومَ والأَوْصَابا

فقال له ابن سُرَيج : أنت معبد والله ؟ قال : نعم . وأنت ابنُ سُريج ؟ قال : نعم ، والله لو عرفتُك ما غَنّيتُ بين يديك .

هو والجوارى المغنيات فى طريقه إلى الأهواز

وذُكر أن معبداً كان قد علَّم جاريةً من جَوارى الحجاز الغِناء . تُدْعى ظَبْية، وعُنِى بتَخْريجها . فاشتراها رجلٌ من العراق وأخرجها إلى البَصرة وباعها هناك . فاشتراها رجلٌ من أهل الأَهْواز وأُعْجِب بها . وذهبتْ كلَّ مذهب وغلبتْ عليه.

(١) السلت : شعير لا قشر له ، أجرد .
(٢) بطن مر : من نواحى مكة . عنده يجتمع وادى النخلتين فيصيران وادياً واحدا . وقيل: انه موضع على مرحلة من مكة، يقال له مر الظهران . (انظر معجم البلدان، والقاموس)
(٣) الدراعة : جبة مشقوقة المقدم .

ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرْهةً من الزمان ، وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ، فكان لمحبَّته إياها وأسَفه عليها لا يزالُ يسألُ عن أخبار مَعْبد وأين مُسْتَقَرُّه ، و يُظْهِر التعصُّبَ له والميلَ إليه والتقديمَ لغنائه على سائر أغانى عصره ، إلى أن عُرف ذلك منه . و بلغ معبداً خبرُه . فخرج من مكة حتى أتى البصرةَ . فلما وردها صادَف الرجلَ وقد خرج عنها فى ذلك اليوم إلى الأهواز ، فلم يجد غيرَ سفينة الرَّجُل ، وليس يعرف أحدُهما صاحبه . فأمر الرجلُ المَلّاحَ أن يُجْلسه معه فى مؤخَّر السفينة ، ففعل ، وانحدروا . فلمّا صاروا إلى فَم نهر الأُبُلَّة[1] تغدَّوا وشَربوا ، وأمر جواريه فغنَّيْن ، ومعبدٌ ساكت وهو فى ثياب السَّفر ، وعليه فَرْوٌ وخُفَّان غَليظان وزِيٌّ جافٍ من زِيّ أهل الحِجاز ، إلى أن غنَّت إحدى الجوارى بصوت غِنائه وشعر النابغة ، وهو :

بانتْ سُعادُ وأَمْسى حبلُها انصرما ... واحتلَّتِ الغَوْرَ والأَجْراعَ من إِضَما[2]

إِحْدَى بَلِيٍّ وما هامَ الفُؤادُ بها ... إلا السَّفَاهَ وإلّا ذِكْرَةً حُلُمَا[3]

فلم تُجِدْ ، فصاح بها مَعْبد : إنّ غِناءك هذا ليس بمُستقيم . فقال له مولاها ، وقد غَضِب : وأنت ما يُدْريك الغناء ما هو ؟ ألا تُمْسك وتَلْزم شأنَك ! فأمسك . ثم غنَّت أصواتاً من غناء غيره ، وهو ساكتٌ لا يتكلم . ثم غنَّت بصوت من غنائه وشعر عبد الرحمن بن أبى بكر ، وهو :

يَابنةَ الأَزْدِيّ قلبى كَئِيبُ ... مُسْتهامٌ عندها ما يُنِيبُ

ولقد لامُوا فقلتُ دَعُونى ... إنّ من تَنْهون عنه حَبِيب

---

(١) الأبلة : بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخله إلى مدينة البصرة . ويقال فيها : الأبلة ، بفتح الهمزة والباء .

(٢) الأجراع : جمع جرع ، وهو مفرد ، أو جمع جرعة ، وهى الرملة الطيبة المنبت لا وعوثة فيها . وإضم ، بكسر ففتح : واد بجبل تهامة ، أو هو الوادى الذى فيه المدينة .

(٣) بلى ، كفنى : اسم قبيلة . والسفاه : الطيش وخفة الحلم . والذكرة ، بالكسر والضم : نقيض النسيان .

إنما أَبْلَى عِظامِي وجسْمِى حُبُّها والحبُّ شىءٌ عَجِيبُ
أيّها العائب عنـدى هَوَاها أنت تَفْدِى مَنْ أَراك تَعِيب

فقال لها معبد : يا جارية ، قد أَخْلَلْت بهذا الصوت إخلالاً شديداً . فغضِب الرجُل وقال : ويلك ! ما أنت والغناء ! ألا تكُفُّ عن هذا الفُضُول ! فأمسك ، وغنت الجوارى مَلِيًّا ، حتى غنَّت إحداهن بصوت من غنائه وشعْر كُثيِّر ، وهو :

خليلىَّ عُوجا ساعةً منكما مَعى على الرَّبْع نَقْضى حاجةً ونُودِّعِ
ولا تُعْجِلانى أَنْ أُلِمَّ بدِمْنَةٍ لِعزَّةَ لاحتْ لى بَبَيْداء بَلْقَعِ
وقُولا لِقلْبٍ قد سَلَا راجِـعَ الهوَى وللعَين أَذْرِى من دموعك أَودَعِى
ولا عيشَ إلا مثلُ عيشٍ مضى لنا مَصِيفاً أَقَمْنـا فيه من بعد مَرْبَع

فلم تصنع شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تَقُومينَ على أداء صوت واحد ! فغضب الرجلُ ، وقال : ما أراك تَدَع الفضولَ بوجهٍ ولا حيلةٍ ! وأُقسم بالله لئن عاودتَ لأُخْرجنَّك من السفينة. فأمسك معبدٌ ، حتى إذا سكت الجوارى سكْتة، اندفع فغنَّى بالصـوت الأول ، حتى إذا فَرغَ صـاح الجوارى : أحسنتَ والله يا رجُل ! فأعدْه . فقال: لا والله ولا كرامةَ . ثم اندفع يُغنى الثانى .فقُلْن لسيدّهن: هذا والله أحسنُ الناس غناءً ،فسَلْه أن يُعيده علينا ولو مَرَّة واحدة ، فإنه إن فات لم نجِدْ مثـله أبداً . قال : قد سمعتنّ سوء ردِّه عليكن وأنا خائف مثـلَه منه ، وقد أسلفناه الإساءة ، فاصبرْن حتى نُداريَه .ثم غنَّى الثالثَ ، فزَلْزل عليهن الأرضَ . فوثَب الرجُل فخرج إليه .وقال : يا سيدى ، أخطأنا عليك ولم نعرِف قَدْرك . قال : فهَبْ أنّك لم تعـرف قدرى ، قد كان ينبغى لك أن تتثبَّت ولا تُسرع إلى سـوء العشْرة وجفاء القَوْل . فقال له : قد أخطأتُ ، وأنا أعتذر إليك . فلم يزل يرفُق به حتى نزل إليه . فقال له الرجلُ : ممّن أخذتَ الغِناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز . فمن أين أخذه جواريك ؟ قال : أخذْنه من جارية كانت لى أُبتاعها رجلٌ من

أهل البصرة من مكة ، وكانت قد أخذت من أبي عبّاد مَعْبد ، وعُنى بتخريجها ، وكانت تحُل منى محلَّ الرُّوح من الجسد ، ثم أستأثر الله بها ، و بقى هؤلاء الجوارى وهُنّ من تعليمها . فأنا إلى الآن أتعصّب لمعبد وأُفضله على المغنّين جميعاً ، وأفضّل صنعتَه على كل صنعة . فقال له معبد : و إنك لأنت هو ! أفتعرفنى ؟ قال : لا . فصكّ مَعْبد بيديه صَلْعته ، ثم قال : فأنا واللهِ مَعْبد ، و إليك قَدِمْتُ من الحجاز ، ووافيتُ البصرَةَ ساعةَ نزلتَ السفينةَ لأقْصِدَكَ بالأهواز . ووالله لا قصَّرتُ فى جواريكَ ، ولأجعلنّ لك كل واحدة منهن خلفاً من الماضية . فأكبّ الرجلُ والجوارى على يديه ورجليه يُقبلونها و يقولون : كتمتَنا نفسكَ طُولَ هذا اليوم حتى حقَرْناكَ[1] فى المُخاطبة وأسأنا عِشْرتَك ، وأنت سيّدنا ومَن نتمنى على الله أن نَلْقاه . ثم غيَّر الرجلُ زِيَّه وحالَه ، وخلع عليه عِدّة خِلع ، وأعطاه فى وقته ثلثمائة دينار وطيباً وهدايا مثلها ، وأنحدر معه إلى الأهواز . وأقام عنده حتى رَضى حِذْق جواريه ، وأنصرف إلى الحجاز .

هو فى حضرة الوليد بن يزيد

وذُكر أنَّ الوليد بن يزيد اشتاق إلى معبد فوجّه إليه إلى المدينة ، فأُحضِر . و بلغ الوليدَ قدومُه ، فأمر ببركة بين يديه فملئت بماء وَرْد قد خُلط بمسك وزَعْفران ، ثم فُرش للوليد فى داخل البيت على حافّة البِرْكة ، و بُسط لمَعبد مقابلَه على حافة البركة ، ليس معهما ثالث . وجىء بمَعبد . فرأى ستراً مُرْخًى ومجلسَ رجل واحد ، فقال له الحُجّاب : يا معبد ، سلّم على أمير المؤمنين فى هذا الموضع . فسلَّم ، فردّ عليه الوليد السلامَ من خلف السِّجْف[2] . ثم قال له : حيّاكَ الله يا معبد ، أتدرى لِمَ وجّهتُ إليك ؟ قال : الله أعلم وأميرُ المؤمنين . قال : ذكرتُك فأحببتُ أن أسمع منك . فقال له معبد : أُغنّى ما حَضر أو ما يَقْترحه أميرُ المؤمنين ؟ قال غنِّى :

(١) فى بعض أصول الأغانى : «جفوناك» .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : «الستر» .

لَهْفى على فِتْيَـةٍ ذلَّ الزمانُ لهم ... فما أصابهُم إلّا بما شَاءوا
مازال يَعْدو عليهم ريبُ دَهْرهمُ ... حتى تفـانَوْا وريبُ الدهر عَدَّاء
أَبْكى فِراقَهمُ عَيْني فأَرَّقها ... إنَّ التَّفرق للأحباب بَكّاء

فغنَّاه . فما فرغ حتى رفَع الجوارى السِّجْف ، ثم خرج الوليدُ فألقى نفسه فى البركة فغاص فيها ، ثم خرج منها ، فاستقبله الجوارى بثياب غيرِ الثياب الأُولى . ثم شَرب وسقى مَعبداً ، ثم قال له : غنِّى يا مَعبد :

يا رَبْعُ مالك لا تُجيبُ مُتيَّماً ... قد عاج نحوَك زائراً ومُسلِّما
جادتْك كلُّ سحابةٍ هطَّالةٍ ... حتى تُرَى عن زَهرةٍ (١) متبسِّما
لو كنتَ تَدرى مَنْ دعاك أَجبتَه ... وبكيتَ من حُرَق عليه إذاً دَمَا

قال: فغنَّاه .وأقبل الجوارى فرفعن السِّتْر ، وخرج الوليد فألقى نفسَه فى البركة فغاص فيها ، ثم خرج فلبس ثياباً غيرَ تلك . وشرب وسقى معبداً ، ثم قال : غنى . قال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال :

عَجِبَتْ لَمـا رأتنى ... أندُب الرَّبْعَ المُحِيلَا (٢)
واقفاً فى الدار أَبْكى ... لا أرى إلّا الطُّلولا
كيف تَبكى لأُناس ... لا يَمَلُّونَ الذَّمِيلَا (٣)
كُلَّما قلتُ اطمأنَّت ... دارُهم قالوا الرَّحِيلا

قال : فلما غَنَّاه ألقى نفسَه فى البركة ثم خَرج ، فردّوا عليه ثيابَه . ثم شَرب وسَقى معبداً . ثم أَقبل عليه الوليدُ فقال له : يا معبد ، مَن أراد أن يزداد حِظوة عند

(١) الزهرة : البهجة والنضرة .
(٢) المحيل : الذى أتت عليه أحوال وغيرته .
(٣) الذميل : ضرب من سير الابل لين . وقال أبو عبيد : إذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم . وفى حديث قس : يسير ذميلا . أى سيرا سريعاً لينا .

الملوك فليكتمُ أسرارَهم . فقلتُ : ذلك ممّا لا يحتاج أميرُ المؤمنين إلى إيصائى به . فقال : ياغُلام ، أحمل إلى معبد عشرة آلاف دينار تُحصَّل له فى بلده ، وألْفَىْ دينار لنفقة طريقه . فحُملت إليه كُلُّها ، وحُمل على البريد من وقته إلى المدينة .

وفى رواية أخرى : إنّ البِرْكة كانت مملوءة خمراً ، وإن الوليد قَذف نفسه فيها ونَهل منها نَهلة وخرج .

قلت : ووجدتُ فى بعض التواريخ : أنّه نهل منها حتى تبيّن نُقصانها .

خبره مع شامى

وقال معبد: أرسل إلىّ الوليد بن يزيد، فأُشخصت إليه . فبينا أنا يوماً فى بعض حمّامات الشام إذ دخل علىّ رجلٌ له هَيبة ومعه غِلمان ، فاطَّلَى ، واشتغلَ به صاحبُ الحمّام عن سائر الناس . فقلتُ : والله لئن لم أُطْلعه على بعض ما عندى لأكوننّ بمَزْجر الكلب . فاستدبرتُه حيث يرانى ويسمع منّى ، ثم ترنّمت . فالتفتَ إلىّ وقال للغلمان : قدِّموا إليه جميعَ ما هاهنا . فصارَ جميع ما كان بين يديه عندى . ثم سألنى أن أسيرَ معه إلى منزله ، فلم يَدع من البرِّ والإكرام شيئاً إلا فعله ؛ ثم وُضع النَّبيذ ، فجعلْتُ لا آتى بحَسن إلا خرجتُ إلى أحسن منه ، وهو لا يرتاح ولا يَحفل لما يرى . فلما طال عليه أمرى قال : يا غلام ، شَيْخَنا ، شيخَنا . فأُتى بشيخ ، فلما رآه هَشَّ إليه . فأخذ الشيخُ العُود ثم اندفع يغنى :

سِلَّورُ[1] فى القِدْر ويْلى عَلُوه[2] جاء القِطُّ أكلَهْ وَيْلى عَلُوه

فجعل صاحبُ الدار يصفِّق ويضرب برجله طرباً وسُروراً . ثم غنّاه :

---

(١) السلور : نوع من السمك يكون بنيل مصر ، طويل أملس ليس له فصوص . وله رأس إلى الطول وفم مستطيل كالخرطوم . (عن ابن البيطار) .

(٢) ظاهر أنه يريد « عليه » .

وتَضربنى[1] حَبِيبةُ بالدُّرَاقِنِ[2] وتَحسبنى حبيبــةُ لا أراها

قال : فكاد يخرج من جِلْده طَرَباً . قال: فانسللتُ منهم وانصرفتُ ولم يُعلَم بى . فما رأيتُ مثل ذلك اليوم قطُّ غِناءً أضيعَ ولا شيخاً أجهلَ .

---

(١) فى بعض أصول الأغانى : «ترمينى» .

(٢) الدراقن ، كعلابط ، وقــد تشدد الراء : المشمش . وذكر الزبيرى أن عرب الشــام يسمون الخوخ الدراقن ، وقال : ان تفسيره بالمشمش غير معروف .

اخبار عمر بن أبي ربيعة

نسب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

واسم أبي ربيعة حُذيفة بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مَخزوم بن يَقظة بن مُرَّة بن لُؤيّ بن غالب. ويُكنى عمر: أبا الخطّاب. وكان أبو ربيعة جدُّه يُسمَّى ذا الرُّمْحين، سُمّي بذلك لطُوله. كان يقال: كأنه يَمشي على رُمْحين (١). وفيه يقول عبدُ الله بن الزِّبَعْرَى:

ألاَ لله قـــومٌ (٢) و لَدَتْ أختُ بني سَهْمِ
هِشَامٌ وأبو عَبـــــدِ مَنافٍ مِدْرَهُ (٣) الخَصْمِ
وذو الرُّمْحين أَشْـــباكَ من القُوة (٤) والحزْمِ
فهـــــذان يذُودان وذا عن (٥) كَثَبٍ يَرْمِي
أسُودٌ تَزْدَهي (٦) الأقْرَا نَ مَنَّاعُـون للهَضْمِ

---

(١) وقال ابن منظور: سمي بذلك لأنه قاتل برمحين. وقيل: لطول رمحه. وقال ابن حبيب في المحبر عند ذكر من ولدت ريطة بنت سعيد بن سهم: «وأبا ربيعة، وهو ذو الرمحين، قاتل يوم الفجار برمحين».

(٢) في المحبر: «ألا لله ماذا».

(٣) المدره: المقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال.

(٤) كذا أورد القالي البيت في النوادر (ص ٢٠٨). وقال قبله: «ويقال: أشباك بفلان، كما يقال: حسبك بفلان». ثم أنشد البيت. وروايته في المحبر:

وذو الرمحين أشبال من الأقوام ذو الحزم

وروايته في الأصل والأغاني:

وذو الرمحين أشـــبال على القـــوة والحزم

(٥) في بعض أصول الأغاني والمحبر: «من».

(٦) ازدهاه: استخف به وتهاون.

وهم يوْمَ عُـكاظٍ مَـ نعوا النَّاسَ من الهَزْم
وهم مَن ولدُوا أَشْبَوْا بسِرِّ الحَسَبِ (١) الضَّخْم
فإنْ أَحْلِفْ وبيتِ الله لا أحلفْ على إثْم
لَمَا مِنْ إخوةٍ بين قُصورِ الشأم (٢) والرَّدْم
بأزْكى من بنى رَيط ـة أو أَوْزَن فى (٣) الحِلْم

أبو عبد مناف : الفاكهُ بن المُغيرة . ورَيطة ، هى أم بنى المُغيرة ، وهى بنت سُعيد (٤) بن سَهْم . ولدت من المُغيرة : هِشَاماً ، وهاشماً ، وأبا ربيعة ، والفاكه .

وقد قيل : إنّ هذه الأبيات ليست لابن الزِّبَعْرى ، فإن أبا بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام بن المغيرة أمر من وَضعها ، ونُسبت إلى ابن الزِّبعرى .

شىء عن عبد الله ابن أبى ربيعة

وكان اسم عبد الله بن أبى ربيعة فى الجاهلية بَحِيراً (٥) ، فسماه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدالله . وكانت تلقِّبه قُريش العِدْل ؛ لأن قُريشا كانت تَكْسو الكعبة فى الجاهلية سنةً ، ويكسوها عبدُ الله من ماله سنة . فأرادوا بذلك أنه وحدَه عِدْل لهم جميعاً فى ذلك .

(١) أنشد شمر بيت ذى الإصبع الهمدانى ، ويكاد يكون هو لولا رويه :

وهم إن ولدوا أشبوا بسر الحسب المحض

وقال : وأشبى : إذا جاء بولد مثل شبا الحديد ، وقال ابن الأعرابى : رجل مشب : ولد الكرام .

(٢) رواية البيت فى النوادر (١٩٦) والمحبر :

ما إن إخوة بين قصور الشام والردم

(٣) رواية البيت فى الأمالى :

كأمثال بنى ريط ة من عرب ولا عجم

(٤) كذا فى نسب قريش للزبيرى : وفى الأصل : « سعد بن سهم » وفى الأغانى : « سعيد بن سعد بن سهم » وكلا هما تحريف .

فقد ولد سهم بن عمرو بن هصيص : سعدا وسعيدا . ومن ولد سعيد ريطة ، أم بنى المغيرة . وفى نسل سهم سعيد آخر هو ابن لسعد ، ولكنه ليس أبا ريطة أم بنى المغيرة . (انظر نسب قريش ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨)

(٥) فى الأصل : « بجيرا » بالجيم ، تصحيف . (انظر تاج العروس : بجر) .

وقد قيل : إنّ العِدْلَ : الوليدُ بن المُغيرة .

وكان عبدُ الله بن أبى ربيعة تاجراً موسراً ، وكان مَتْجره إلى اليمن . وكان من أكثرهم مالاً . وأُمه أسماء بنت مُخْرِّمة [١] ، وكانت عَطَّارة يأتيها العِطْر من اليمن ، وكان تزوّجها هشامُ بن المغيرة أيضاً ، فولدت له : أبا جَهْل ، والحارث ، أبنى هشام . فهى أُمهما ، وأُم عبدِ الله ، وعيَّاش ، أبنى أبى ربيعة .

وكان لعبد الله بن أبى ربيعة عَبِيدٌ من الحَبشة يتصرّفون فى جميع المِهَن ، وكان عددهم كثيراً . فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج إلى حُنين : هل لك فى حَبَش بنى المُغيرة تستعين بهم ؟ فقال : لا خيرَ لى فى الحبش ، إن جاعوا سَرقوا ، وإن شَبِعوا زَنَوْا ، وإنّ فيهم لخلّتين حسنَتين : إطعامَ الطَّعام ، والبأسَ يوم البأس .

واستعمل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبى ربيعة على الجَنَد [٢] ومَخاليفها [٣] ، فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتل عُمر رضى الله عنه .

وقيل : إنّ عثمان رضى الله عنه استعمله أيضاً عليها .

أمه

وأُم عمر بن عبدالله بن أبى رَبيعة أُمّ ولد ، يقال لها : مَجْد ، سَبِيّة من حَضْرَموت . وقيل : من حِمْير . ومن هناك أتاه الغَزَل . يقال : غَزَل يمانٍ ، ودَلٌّ حِجَازىّ .

وقيل . أُمه أُم ولد سَوْداء ، يقال لها : فرشان [٤] .

وقد ردّ أبو الفرج هذا القولَ وقال : إنها أُم أخى « عُمر » الحارثِ ، الذى

(١) ويقال : مخربة ، أيضاً .

(٢) الجند : من ولايات اليمن الثلاث ، وهى : الجند ، وصنعاء ، وحضرموت .

(٣) المخاليف : الأطراف والنواحى ؛ الواحد مخلاف ، وهو عند اليمن كالرستاق .

(٤) فى أكثر نسخ الأغانى : « فرسان » . وفى سائرها : « مرسان » . والذى وجدناه نقلا عن ياقوت : « وفرسان قبيلة من تغلب ، كانوا قديماً نصارى ، ولهم فى جزائر فرسان كنائس قد خربت . ويحملون التجارة إلى بلد الحبش » .

يقال له القُبَاع . وكان شريفاً كريماً ديِّنا ، وسيِّداً من سادات قريش .

وكانت أُمّه هذه نَصْرانية . وذُكر أنها ماتتْ نصرانيّة ، وكانت تُسِرذلك منه ، فَحضر الأشراف جِنازتها ، وذلك فى عَهْد عُمر بن الخطّاب رضى الله عنه . فسمع الحارثُ من النِّساء لَغَطاً ، فسأل عن الخبر ، فعُرِّف أنها ماتت نصرانية ، وأنه وجِد الصليبُ فى عُنقها ، وكانت تكتُمه ذلك ، فخرج إلى النـاس وقال : انصرفوا رحمكم الله ، فإنّ لها أهلَ دين، هم أَوْلى منا ومنكم . فاستُحسن ذلك منه، وعَجِب الناسُ من فعله .

ابنـه جوان

وكان لعمر بن أبى ربيعة ابْنٌ يقال له : جُوَان ، وفيه يقول العَرْجِيّ :

شَهِيدى جُوَانٌ على حُبِّها أليس بعَدْلٍ عليها جُوَانُ

فذُكر أنّ جُوَان هذا جاء إلى العَرْجِيّ وقال : يا هذا ، مالى ولك تُشهِّرنى فى شعرك ، حتى أَشْهدتنى على صاحبتك هذه ! متى كنتُ أشهد فى مثل هـذا ! وكان امرأً صالحاً .

مولده

وذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة وُلد فى الليلة التى قُتل فيهـا عمر بن الخطّاب ، فقال فى ذلك الحسن : أى حقّ رُفع ، وأىّ باطل وُضع !

قدومه على ابن عباس المسجد

قيل: بينا ابْنُ عبّاس فى المسجد الحرام ، وعنـده نافع بن الأزْرق ، وناسٌ من الخوارج يسألونه، إذ أَقْبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين مَصْبوغين مُحصَّرين[1] حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابنُ عبّاس فقال : أَنْشِدنا . فأنْشده :

أمِن آلِ نُعْمٍ أنْت غادٍ فمُبكِرُ غـداةَ غـدٍ أو رائحٌ فمُهجِّرُ

حتى أتى على آخرهـا . فأقبل عليه نافعُ بن الأزرق وقال : اللهَ يا ابن عبـاس !

(١) المحصر من الثياب : التى فيها شىء من صفرة ليست بالكثيرة .

إنّا نضرب إليك أكبادَ المطىّ من أقاصى البلاد نَسألك عن الحلال والحرام ، وتتثاقل عنّا ، و يأتيك مُتْرفٌ من مُتْرَفى قريش فيُنشدك :

رأت رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضت فَيخْزَى وأمّا بالعَشىّ فيخسرُ

فقال : ليس هكذا . قال : فكيف قال ؟ قال :

رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضْحَى وأمّا بالعشىّ [1] فيَخْصرُ

فقال : ما أراك إلا قد حَفِظتَ . قال : أجل ، و إن شئتَ أن أُنشدك القصيدةَ أنشدتك إياها . قال : فإنى أشاء . فأنشده القصيدةَ حتى أتى على آخرها .

وفى رواية : أن ابن عباس أنشدها من أوّلها إلى آخرها ، ومن آخرها إلى أولها مقلوبةً ، وما سمعها قطُّ إلا تلك المرة صَفْحًا[2] . وهذا غايةُ الذُّكاء . فقال له بعضُهم : ما رأيتُ أذكى منك ! قال : لكنّى لم أَرَ أذكى من أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكان ابنُ عبّاس يقول : ما سمعتُ شيئاً قطُّ إلّا رويتُه ، و إنّى لأسمع صوتَ النائحة فأسُدّ أُذنىّ كراهية أن أحفظ ما تقول .

ولامَه بعضُهم فى حفظه هذه القصيدة فقال : إنا نَسْتجيدها . وكان بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أَحْدث هذا المُغيرىّ شيئاً بعدنا ؟

وفى رواية : ثم أقبل ابنُ عبّاس على ابن أبى ربيعة فقال : أنشدنا . فأنشد :

* تَشُطُّ غداً دارُ جيراننا *

ثم سكت . فقال ابنُ عبّاس :

* وللدّارُ بعد غدٍ أبعدُ *

---

(١) يضحى : يظهر للشمس . وعارضت ، أى قابلت . يريد : عارضته . ويخصر : يبرد .
(٢) صفحا ، أى مرورا .

فقال له عمر : كذلك قلتُ ! —أصلحك الله — أَسمِعتَه ؟ قال: لا ، ولـكن كذلك يَنْبغى .

مكانته فى الشعر

قيل : وكانت العربُ تُقِرّ لقُريش بالتقدّم[1] فى كل شىء عليها إلّا فى الشعر، فإنها كانت لاتُقِرّ لها به، حتى كان عمرُ بن أبى ربيعة ، فأَقرّت لها الشعراء بالشعر أيضاً ، ولم تنازعها شيئاً .

وقال نُصَيب : عمر بن أبى ربيعة أوصفُنا لربَّات الحِجَال .

وقال سُليمان بن عبـد الملك لعُمر بن أبى ربيعة : ما يَمنعك من مَدْحنا ؟ قال إنى لا أمدح الرجالَ ، إنما أمدحُ النساء .

وقال ابن جُريج : ما دَخل على العَواتق[2] فى حجابهنّ[3] شىءٌ أَضرُّ عليهنّ من شعر عمر بن أبى رَبيعة .

وسمع الفرزدقُ شيئاً من نَسب عمرَ بن أبى ربيعة ، فقال : هذا الذى كانت الشعراء تَطلبه فأخطأته ، وبكت الديار، ووَقع هذا عليه .

وقال أبو المقوّم الأَنْصارىّ : ماعُصى الله بشىء كما عُصى بشعر ابن أبى ربيعة.

من خلقه

وقال عمر بن أبى رَبيعة : لقـد كنتُ أُعشَق ولا أَعْشق ، فاليوم صرتُ إلى مُداراة الحِسان حتى المَمات . ولقد لَقِيَتْنى فتاتان مرةً ، فقالت إحداهما : أُدْنُ منى يابن أبى ربيعة أسِرّ إليك شيئاً . فدنوتُ منها ، ودنتْ الأخرى فجعلت تَعَضُّنى، فما شَعَرتُ بعضّة هذه من لذّة سِرار هذه .

---

(١) فى الأصل : «فى التقدم» . وما أثبتنا من بعض أصول الأغانى .

(٢) العواتق : جمع عاتق ، وهى الشابة أول ماتدرك . وقيل : هى التى لم تبن من والديها ولم تتزوج وقد أدركت وشبت .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « حجالهن » .

ويقال : أشرف عُمر بن أبى ربيعة على أبى قُبَيْس[1] ، وبنو أخيه معه وهم مُحْرِمون ، فقال لبعضهم : خُذْ بيدى ، فأخذ بيده فقال : وربِّ هذه الكعبة[2] ، ما قلت لامرأة قطُّ شيئاً لم تقُلْه لى ، وما كشفت ثوباً عن حرام قط .

ولمّا مَرِض عمرُ مرضَه الذى مات فيه جَزِع أخوه الحارثُ جزعاً شديداً ، فقال له عمر : أحْسَبك إنّما تجزع لما تظُنُّه بى ! والله ما ركبتُ فاحشةً قطُّ . فقال : ما كنتُ أُشْفِق عليك إلا من ذلك ، وقد سلَّيتَ عنى .

وذُكر أن عمر بن أبى ربيعة عاش ثمانين سنة ، فَتَك منها أربعين سنة ، ونَسك أربعين .

هو وامرأة فى الطواف

وقيل : قدمتْ امرأةٌ مكةَ وكانت من أجمل النساء ، فبينا عمرُ بن أبى ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت فى قلبه ، فدنا منها فكلّمها ، فلم تلتفت إليه . فلما كان فى الليلة الثانية جعل يطُلبها حتى أصابها . فقالت : إليك عنِّى فإنك فى حَرَم الله وفى أيّام عظيمةِ الحرمة . فألحّ عليها فكلّمها حتى خافت أن يُشهِّر بها . فلما كان فى الليلة الأُخرى قالت لأخيها : أُخرُج معى يا أخى وأَرِنى المَناسك ، فإنى لستُ أعرفها . فأقبلتْ وهو معها . فلمّا رآها عمر أراد أن يَعْرِض لها ، فنظر إلى أخيها معها فعدَل عنها ، فتمثّلت المرأةُ بقول النابغة :

تَعْدو الذِّئابُ على مَن لا كِلَابَ له ... وتَتَّقِى صَوْلةَ المُسْتَنفر[3] الحامِى

ولما حُدِّث المَنْصورُ بهذا الحديث قال : وددتُ أنه لم تَبْقَ فتاةٌ من قريش إلا سمعتْ بهذا الحديث .

هو وابن عباس

وذُكر أنّ عُمر بن أبى ربيعة أتَى عبدَ الله بن عبّاس رضى الله عنه ، وهو فى

(١) أبو قبيس : جبل مشرف على مسجد مكة .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « البنية » . وهما بمعنى .

(٣) فى بعض أصول الأغانى : « المستأسد » .

المسجد الحرام ، فقال له : متّعنى الله بك ، إنّ نفسى قد تاقتْ إلى قول الشِّعر ونازعتْنى إليه ، وقد قلتُ منه شيئاً أحببتُ أن تَسمعه وتستُره علىّ . قال : أنشِدْنى . فأنشده :

أمِن آل نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ غداةَ غدٍ أو رائح فمُهجِّرُ

فقال له : أنت شاعرٌ يابن أخى، فقُل ماشئت . ومن هذه القصيدة :

أشارتْ بمِدْراها وقالتْ[1] لِتِرْبِها أهذا المُغيرىّ الذى كان يُذْكَرُ
فقالت نَعم لا شكَّ غيَّر لونَه سُرَى اللَّيْلِ يَطْوِى نَصَّه والتَّهجُّرُ
رأتْ رجلاً أمَّا إذا الشَّمْسُ عارضتْ فيَضْحَى وأمّا بالعَشِىِّ فيَخْصَرُ
أخَا سَفَرٍ جَوَّابَ أرضٍ تَقاذَفَتْ به فَلَواتٌ فهو أشعثُ أغْبَرُ
قليلاً على ظهر المَطِيّة ظِلُّه سِوَى ما نَفَى عنه الرِّداءُ المُحبَّرُ
وأعجبها مِن عَيْشها ظِلُّ غُرْفةٍ وريَّانُ مُمتدٌّ[2] الحَدائق أخْضَرُ
ووَالٍ كَفَاها كلَّ شىءٍ يَهُمُّها فليستْ لهمٍّ[3] آخرَ اللَّيل تَسْهَرُ

يزيد ورجل من أهل الشام معه ترس

ويقال : إنه لمّا عَرض يزيدُ بن معاوية جيْش أهل الحَرَّة ، مرَّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْس خَلَقٌ سَمْجٌ ، فنظر إليه يزيدُ وضَحِك ، وقال له : ويحك ! تُرْس عُمَرَ بن أبى رَبيعة كان أحسنَ من تُرسك . يريد قولَه من هذه القصيدة :

فكان مِجَنِّى دون مَن كنتُ أتَّقى ثلاثُ شخوص كاعبان ومُعْصِرُ

لابن المسيب فى بيت له

وأنشد سعيد بن المسَيِّب قول عُمر بن أبى ربيعة من هذه القصيدة :

وغابَ قُمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَه ورَوَّح رُعْيَانٌ ونَوَّم سُمَّرُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لأختها » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « ملتف » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لشىء » .

فقال : ما له قاتله الله ! لقد صغَّر ما عظَّم الله ، يقول الله عزّ وجلّ : (والقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ منَازِلَ حتى عادَ كالعُرْجُونِ القَديم) .

هو وفاطمة الكندية

وقيل: حَجَّت فاطمةُ بنت محمد بن الأشعَث بن قيس الكِنْديّة، فراسلها عُمر بن أبى ربيعة ، وواعدَها أن يلقاها مَساء الغد ، وجعل الآية بينه و بَيْنها أن تسمع ناشداً يَنْشُد ، إن لم يُمكنْه أن يُرسل رسولاً يُعلمها بمصيره إلى المكان الذى وعدَها . قال بُدَيْح المغنِّي :فلم أشعُر به إلا مُتلثِّماً، فقال : يا بُديح ، إيت بنتَ محمد ابن الأشعث فأخْبرها أنّى قدجئتُ لموعدها . فأبيتُ أن أذهب،وقلتُ : مثلى لا يُعين على مثل هذا . فغيَّب عنّى بغلَته ثم جاءنى ، فقال لى : قد أضللت بغلتى فانشُدْها لى فى زُقاق الحاجِّ . فذهبتُ فنَشدتُها . فخرجتْ علىَّ بنتُ محمد بن الأشعث ، وقد فهمتْ الآيةَ ، فأتتْ لموعده ذلك .

قال بُدَيح : فلما رأيتُها مقبلةً عرفتُ أنه قد خَدعنى بنِشْدتى البغلة . فقلت له : يا عمر ، لقد صَدَقَت التى قالت لك :

فهذا سِحْرُك النِّسوا نُ قد خَبَّرْنَنى خَبَرَكْ

قد سخرت منى [1] وأنا رجل ، فكيف برقَّة قلوب النِّساء وضَعْف رأيهنّ ! وما آمَنُك بعدَها ، ولو دخلتَ الطوافَ ظننتُ أنك دخلتَه لَبلِيّةٍ .

وحدَّثها حديثى ، فما زالا ليلتهما يَفصلان حديثَهما بالضحك منِّى .

وقيل: إنها لما حجَّت راسلها، فوعدتْه أن تزوره . فأعطى الرسولَ الذى بشَّره بزيارتها مائةَ دينار .

وقيل : إنها لما جاءت إليه أرسلت بينه و بينها سِتْراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يحدّثها حتى اُستنشدتْه ، فأنشدها قصيدته التى منها :

تَشُطُّ غداً دارُ جِيرانِنا وللدَّارُ بعد غدٍ أبْعَدُ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « قد سحرتنى »

إذا سَلَكتْ غَمْرَ ذِى[1] كِنْدةٍ ... مع الصُّبْحِ[2] قَصْدٌ لَهَا[3] الفَرْقَدُ

عِرَاقِيَّـــةٌ ، وتِهَامِى الهَوَى ... يَغورُ بمكَّةَ أو[4] يُنْجِـــد

وحَثَّ الحُـــداةُ بها عِيرَها ... سِرَاعاً إذا ما وَنَتْ تُطْـــرَد

هنـــالِكَ إمَّا يُعَـزَّى الفُؤاد ... وإمّا على إثرهم[5] يَكْمَد

وليست تَروع[6] إذاً دارُها ... نأتْ والعـــزاء إذاً أَجْـلَد

وَجرَّبتُ من ذاك حتّى عَـرفْـ ... ـتُ ما أَتوقَّى وما أَحْمَـــد

فلمـــا دنَوْنا لجَرْسِ النُّبَـــا ... ح والضوءِ ، والحىُّ لم[7] يَرْقُدوا

بَعَثْنا لهـــا باعثاً ناشـــداً ... وفى الحىّ بُغيـــةُ من يَنْشُد

أَتتنـــا تَهـــادَى على رِقْبَـةٍ ... من الخَوْف أحشاؤها تُرْعَـد

تقول وتُظهر وَجْـداً بنـــا ... ووجْدِى وإن أظهرتْ أَوْجَـد

لِمَّـــا شَـــقائى تَعلَّقتُـكم ... وقد كان لى عنكمُ مَقْعـد

وكَفَّت سوابِقَ من عَـبْرةٍ ... على الخَـدِّ يجرى[8] بها الإِثْمِد

فإن التى شَيَّعَتْنا الغَـــداةَ ... مع الفَجْر قَلبى بهـا مُقْصَـــد

قال : فاستخفّها الشعر ، فرفعتِ السِّجْفَ ، فرأى وجهاً حَسَناً فى جسم ناحل،

---

(١) غمر ذى كندة : موضع بينه وبين مكة مسيرة يومين .

(٢) فى الديوان : « مع الركب » . وفى بعض الأصول الأغانى : « مع الشمس » .

(٣) كذا فى الأصل والكثرة من نسخ الأغانى . والفرقد : أحد نجمين لا يغربان ، قريبين من القطب . وفى سائر أصول الأغانى : « والقرقد » بقافين : وقرقد : بالكسر : جبل قرب مكة .

(٤) يشير إلى أن موطنهـــا العراق وهو فى تهامة ، لا حيلة له إلا أن يهبط ويصعـــد بين أغوارها ونجادها .

(٥) رواية بعض أصول الأغانى : « تعزى . . . . تكد » .

(٦) فى الكثرة من أصول الأغانى : « ببدع » .

(٧) رواية الديوان :

فلما دنونا لجرس النبـــاح ... إذا الضوء والحى لم يرقدوا

(٨) فى الديوان : « جال »

فَخطبها وأرسل إلى أُمها خمسمائة دينار ، فأَبت وحجبته وقالت للرسول : تعود[1] إلينا . فكأن الفتاة غَمّها ذلك . فقالت لها أمها : قتلك الوَجْدُ به فتزوّجيه ! قالت : لا والله ، لا يتحدَّثُ أهلُ العراق عنِّى أنِّى جئتُ ابنَ أبى ربيعة أَخطبُه ، ولكن إنْ أَتانى العراقَ تزوجتُه .

هو وزينب بنت موسى

وشبَّب أيضاً عمر بنُ أبى ربيعةَ بزينبَ بنت موسى، أُختِ قُدامة بن موسى الجمحىّ . فممّا قال فيها :

تَصابَى القلبُ وادَّكَرَا صِبَاهُ ولم يكن ظَهَرَا
لزينبَ إذ تُجِدُّ لنا صفاءً لم يكنَ كَدَرَا
أليستْ بالتى قالت لمولاةٍ لها ظُهْرا
أشيرى بالسَّلام له إذا ما نحونا[2] نظرا
وقولى فى مُلاطفةٍ لزينبَ نَوِّلى عُمَرَا
فهزَّتْ عِطفَها عَجباً وقالت مَنْ بذَا أَمَرَا
أهذا سحرُك النِّسوا نَ قد خَبَّرننى الخبرا

ويُروى على غير هذا الروىّ ، هكذا :

لقد أرسلتُ جاريتى وقلتُ لها خُذِى حَذَرَكْ
وقُولى فى مُلاطفةٍ لزينبَ : نَوِّلِى عُمرَكْ
فهزَّت رأسَها عَجباً وقالت : مَن بذا أَمرَكْ
أهذا خَدْعُك[3] النِّسوا ن قد خَبَّرننى خَبَرَكْ

وقال فيها من قصيدة :

يا خَليلىّ مِن مَلامٍ دَعانى وأَلَمَّ الغداةَ بالأظْعانِ

(١) فى بعض أصول الأغانى : « لا تعود إلينا » .
(٢) الرواية فى الأغانى : « إذا هو نحونا خطرا » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « سحرك » .

لا تَلُومَا فى آل زَيْنَب إنّ الْـ قَلْب رهنٌ بآل زينبَ عانى
ما أرَى ما بقيتُ أن أذكُرَ المو قِفَ منها بالخَيْفِ[1] إلاّ شَجانى
لم تدَعْ للنسـاء عنـدىَ حَظًّا غيرَ ما قلتُ مازحاً بلسانى
هى أصل[2] الصَّفاء والودِّ منِّى وإليهـا الهَوَى فـلا تَعْذُلانى
حين قالت لِتِرْبها[3] ولأُخْرى من قَطِينٍ[4] مُولَّد : حـدِّثانى
كيفَ لى اليومَ أن أرَى عُمَرَ المُرْ سِلَ سِرًّا فى القولِ أن يَلْقَانِى
قالتَا : تَبْعثِى[5] رسـولاً إليـه ونُميتُ الحديثَ بالـكِتْمان
إن قَلْبِى بعـد الذى نِلْتُ منهـا كالمُعَمَّى عن سـائر النِّسْوان

قيل : وكان سبب ذِكْره لهـا أنّ ابن أبى عَتِيق ذكَرها عنده فأطراها ، ووصَف من عَقْلها وأدبها وجمالها ما شغَل قلبَ عُمر وأماله إليها . فقال فيها الشعر ونَسَب بها . فبلغ ذلك ابنَ أبى عَتيق ، فلامَه فيه وقال له : أتنطق الشعر فى ابنةِ عمّى ؟ فقال عمر :

لا تَلُمْنى عَتِيقُ حَسْبِى الذى بى إنّ بى يا عتيقُ ما قد كفانِى
لا تَلُمْنِي وأنتَ زيَّنْتَهـا لِى أنت مثلُ الشَّيطان للإنسان
إنّ بى داخلاً مِن الُحبّ قد أَبْـ ـلَى عِظامى مـكنونُه وبَرانِى
لو بعَيْنَيك يا عتيـقُ نظرْنا ليلةَ السَّفْح قَـرَّت العَيْنان
إذ بَدا الـكشْح والوشاح من الدُّ رّ وفصْلٌ فيـه من المَرْجان

وأول هذه القصيدة :

إنّنى اليـومَ عادَ لى أحـزانى وتذكَّرتُ ما مضَى من زمانى
وتذكَّرتُ ظَبيـةً أُمَّ رِئْم هاج لى الشوقَ ذِكْرُها فشَجانى

(١) الخيف : موضع بمكة .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « أهل » .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « لأختها » .
(٤) القطين : الخدم والحشم .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « نبتغى » .

وحكى قُدامةُ بن موسى قال: خرجتُ بأختى زينبَ إلى العُمْرة ، فلمّا كانت بسَرِف[1] لقينى عمرُ بن أبى ربيعة على فرسٍ فسلّم علىّ . فقلت له : إلى أين أراك متوجِّها يا أبا الخطاب ؟ فقال : ذُكرتْ لى امرأةٌ من قومى بَرْزَةُ الجَمال فأردتُ الحديثَ معها . فقلت : هل علمتَ أنها أُختى ؟ فقال : لا ، وثَنى عِنانَ فرسه راجعاً إلى مكة .

وقيل: أُنشد ابنُ أبى عتيق قولَ عمر بن أبى ربيعة:

مَنْ لسَقيمٍ يكتُمُ الناسَ ما به ... لزينبَ نَجْوَى صدرِه والوَساوسُ
أقول لمن يبغى الشِّفاء متى تجِىء ... بزينبَ تُدْرِكْ بعضَ[2] ما أنت لامِس
فإنّك إن لم تَشْفِ من سَقَمِى بها ... فإنِّىَ من طِبِّ الأَطبّاء آيِس
ولستُ بناسٍ ليلةَ الدارِ مجلساً ... لزينبَ حتى يَعْلُوَ الرأسَ رامِس
فلمّا بدتْ قَمراؤُه وتكشَّفتْ ... دُجُنَّتُه وغابَ مَن هو حارِس
ومانِلْتُ منها مَحْرَماً غيرَ أنّنا ... كِلَانا من الثَّوْب المَطارِف[3] لابِس
نَجِيَّين نَقْضِى[4] اللهو فى غير مأثم ... وإن رَغِمتْ للكاشِحين المَعاطِس

فقال ابنُ أبى عتيق : أمِنَّا يَسخر ابنُ أبى ربيعة ؟ فأىّ مَحْرم بَقِى ! ثم أتى عمرَ ، فقال : يا عمر، ألم تُخبرنى أنّك ما أتيتَ حراماً قطُّ ؟ فأخبرْنى عن قولك :

* كلانا من الثَّوب المَطارِف لابِس *

فما مَعْناه ؟ قال : واللهِ لأُخبرنّك ، خرجتُ أُريد المسجدَ وخرجتْ زينبُ

---

(١) سرف : موضع على عشرة أميال من مكة قرب التنعيم .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « نفس » .

(٣) المطارف : جمع مطرف ، بالضم والكسر ، وهو رداء من خز مربع ذو أعلام . وأصله الضم ، إذ المعنى من أطرف ، إذا جعل فى طرفيه العلمان ، ولكنهم استثقلوا الضمة فكسروا. وفى بعض أصول الأغانى : « المورد » .

(٤) فى الأصل : « فحين تقضى » . وما أثبتنا من بعض أصول الأغانى .

تُريده، فاتَّعدنا لبعض الشِّعاب ، فلما توسَّطنا الشِّعْب أَخذتْنا السماء ، فكرهتُ أن يُرى بثيابها بَلَل المَطر ، فيُقال لها : ألَا استترتِ بسَقائف المسجد أن كنتِ فيه ؟ فأمرتُ غِلْمانِي فستَرُونا بكساء خزٍّ كان عليّ ، فذلك حين أقول :

* كلانا من الثَّوب[1] المَطارِفِ لابِسُ *

فقال له ابنُ أبى عتيق : يا عاهرُ ، هذا البيتُ يحتاج إلى حاضنة .

وقال أيضاً فى زينب :

يا مَنْ لقلبٍ مُتَيَّم كَلِف ... يَهْذِى بخَوْدٍ مَليحة[2] النَّظَرِ
تَمشِى الهُوَيْنَى إذامشت[3] فُضُلاً ... فهى كمِثْل العُسْلُوج[4] فى[5] الشَّجر
ما زال طَرْفى يحارُ إذ[6] بَرزتْ ... حتى رأيت النُّقْصان فى بَصَرِى
أبصرتُها ليلةً ونِسْوتَها ... يَمْشِين بين المَقامِ والحَجَر
بِيضاً حِسانًا خرائداً[7] قُطُفاً ... يَمْشِين هَوْناً كمِشْية البَقَر
قد فُزْن بالحُسْن والجمالِ معاً ... وفُزْن رِسْلاً[8] بالدَّلّ والخَفَر
يُنْصِتْنَ يوماً لها إذا نَطقتْ ... كَيْما يُشرِّفنها على البَشَر
قالت لِتِرْبٍ لها تُحدِّثُها ... لنُفْسِدَنَّ الطَّواف فى عُمَر

(١) فى بعض نسخ الأغانى : « من اثواب المطارف » .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « مريضة » .
(٣) كذا فى بعض أصول الأغانى . والفضل ، بضمتين ، التى قد تفضلت فى ثوبها، وذلك إذا توشحت به فخالفت بين أطرافه على عاتقها . وفى الأصل : « قطفاً » . « والقطف » : المشى البطىء ، فعله من باب ضرب ونصر وكرم .
(٤) العسلوج : الغصن لسنته ، وقيل : هو كل قضيب حديث .
(٥) فى الأصل : « مل يسر » . وما أثبتنا من الأغانى .
(٦) فى الديوان : «إذ نظرت » .
(٧) قطف ، بضمتين : جمع قطوف ، وهى البطيئة السير .
(٨) الرسل : بالكسر : اللين والتؤدة ، ويجوز أن يكون بالفتح ، أى قطيعاً . وهو بالتحريك ، وسكن للشعر .

قالت[١] تصدَّىْ له لِيَعْرِفَنا ... ثم أُغْمِزيه يا أُخْتَ فى خَفَرِ
قالت لها قد غمزتُه فأبَى ... ثم أسبطرَّتْ[٢] تَسْعَى على أثرِى
مَن يُسْقَ بعد الكَرَى بريقتها ... يُسْقَ بكأْس ذى لذةٍ[٣] خَصِرِ

وقال أيضاً فيها :

أيها الكاشحُ المُعيِّر بالصَّرْ ... مِ تَزحزَحْ فما لها الهِجْرانُ
لا مُطاعٌ فى آل زينبَ فارجعْ ... أو تكلَّمْ حتى يَملَّ اللسان
نَجعلُ الليلَ موعداً حين[٤] نُمسى ... ثم يُخْفِى حديثَنا الكِتْمان
كيف صَبْرِى عن بعض نَفْسِى وهل يَصـ ... ـبر عن بعضِ نفسه الإنْسان
ولقد أَشْهد المُحدَّثَ عند الـ ... ـقَصْر فيه تعفُّفٌ[٥] وبَيان
فى زَمانٍ من المعيشة لَدْنٍ ... قد مضَى عَصْرُه وهذا زَمان

وقال أيضاً :

ألا يا بَكْرُ قد طَرَقَا ... خَيالٌ هاج لى أَرَقَا
بزينب[٦] إنها هَمِّى ... فكيف بحَبْلها خَلَقَا
خَدَلَّةٌ[٧] إذا انصرفتْ ... رأيتَ وِشاحَها قَلِقَا
وساقاً يملأ الخَلْخا ... لَ فيه تراه مُخْتنقَا

---

(١) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « قومى » . (٢) اسبطرت : أسرعت .
(٣) رواية الديوان :

من يسق بعد المنام ريقتها ... يسق بمسك وبارد خصر

والخصر : البارد
(٤) فى الأصل : « ثم نمشى » . وما أثبتنا من الديوان وبعض أصول الأغانى .
(٥) لعله يريد بالمحدث ، حيث وقفا يتحدثان عند القصر . يذكر أحاديث لها ، فيها العفة وفيها البيان .
(٦) فى بعض أصول الأغانى : « لزينب » .
(٧) الخدلجة : الممتلئة الذراعين .

إذا ما زينبٌ ذُكرت سكبتُ الدمعَ مُتَّسقا
كأنَّ سحابةً تَهْمِى بماءٍ حُمِّلَت غَدَقا

هو ونسوة تشوقن إليه

وقيل. اجتمع نسوةٌ فذكرنَ عمرَ بن أبى ربيعة وشعرَه وظَرْفه ومجلسه وحديثه ، فتشوّقن إليه وتمنَّيْنه . فقالت سُكينة : أنا لكُنّ به . فبعثتْ إليه رسولاً أن يُوافِىَ الصَّوْرَيْن[1] ليلةَ سَمَّتْها . فوافاهنّ على رواحله، فحدَّثهن حتى طلع الفجر . وحان انصرافُهن، فقال لهن : والله إنى محتاجٌ إلى زيارة قَبْر النبىّ صلى الله عليه وسلم والصلاةِ فى مسجده ، ولكنى لا أخلط بزيارتكن غيرَها ، ثم انصرف إلى مكة ، فقال فى ذلك :

أَلِمْ بزَينبَ إن الرَّكْبَ قد[2] أَفِدَا قَلَّ الثَّواء لئن كان الرحيلُ غدَا
قد حَلفَتْ ليلةَ الصَّوْرَين جاهدةً وما على المرْءِ إلا الحِلفُ[3] مُجتهدا
لأُخْتِها ولأُخْرى مِنْ[4] مَنَاصِفِها لقد وجدتُ به فوقَ الذى وَجَدا
لو جُمِّعَ الناسُ ثم اُخْتِير صَفْوهُمُ شَخصاً من الناس لم أعدِلْ به أَحدَا

رأى جرير فى شعره

قيل : أُنشِد جريرٌ قولَ عُمَر بن أبى ربيعة :

سائِلاَ الرَّبْعَ بالبُلَىِّ[5] وقُولا هِجْتَ شوقاً لىَ[6] الغداةَ طويلاَ
أين حَىٌّ حَلُّوك إذ أنت مَحْفُو فٌ بهم أهلٌ أراك جَميلا
قال : سارُوا فأمْعنُوا واستقلُّوا وبِرَغْمِي لو أَستطيع[7] سَبيلا

(١) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع .
(٢) فى بعض أصول الأغانى : « البين » مكان .. « الركب » . وأفد : عجل وأسرع .
(٣) فى الديوان : « الصبر » . (٤) المناصف : الخدم .
(٥) البلى : تل قصير أسفل حاذة ، بينها وبين ذات عرق .
(٦) فى الأصل : «إلى» . وما أثبتنا من بعض أصول الأغانى . ورواية الديوان : « لنا » .
(٧) فى بعض أصول الأغانى : « لواستطعت » .

سَـــئِمونا وما سَئِمنا مُقامـا وأحـــبُّوا دَماثـةً وسُهُولا

فقال جرير : هذا الذى كُنّا نَدور عليه فأخطأناه وأصابه القُرشىّ .

رأى مصعب فى شعره

وقالت فاطمةُ بنت عُمر[1] بن مُصْعب : سمعتُ خالى يقول ، وقد أنشد قولَ عُمر : [2]

يا ليتنى قد أجزْتُ الحَبْلَ نحوكمُ حَبْل المُعَرَّفِ أوجاوزتُ ذا [3] عُشَرِ
إنّ الثَّواء بأرضٍ لا أراكِ بهـا فاُسْتَيْقِنيه ثَوَاءٌ حَقُّ ذى كَدَر
وما مَلِلْتُ ولـكن زاد حُبُّكمُ ولاذَكرتُك إلاظَلْتُ [4] كالسَّدِر
ولاجَذِلْتُ بشىء كان بعـدَكمُ ولا مَنحتُ سواكِ الحُبَّ مِنْ بَشَر
أَذْرِى الدُّموعَ كذى سُقْمٍ يُخامره وماَ يُخامرنى سُقْمٌ سوى الذِّكر
كم قد ذكرتُكِ لو أجْدى تَذَكُّركم يا أشبهَ النـاس كلِّ النـاس بالقمر

قال[5] : فقال جَدُّك: إن لِشعر عُمر بن أبى ربيعة موقعاً من القلب، ومُخالطة فى النفس، ليسا لغيره ، ولو كان شِعْرٌ يَسْحر كان شعرُه سِحْراً .

رأى ابن أبى عتيق فى شعره وشعر الحارث

وقيل : ذُكر شعرُ الحارث بن خالد وشعرُ عمر بن أبى ربيعة عند ابن أبى عَتيق فى مجلس رجل من وَلد خالد بن العاصِى بن هِشام ، فقال : صاحبُنا — يعنى الحارثَ — أشعرُهما . فقال ابنُ أبى عَتيق : بعضَ قولك يابْن أخى ! لِشِعْرِ عُمر نَوطةٌ [6] فى القلب ، وعُلُوق بالنَّفس ، ودَرَكٌ للحاجة ، ليس [7] لشـعر . وماعُصِى الله جلَّ ذِكْره بشعر أكثرَ مما عُصى بشعر عمر بن أبى ربيعة . فَخذْ عنِّى

(١) فى بعض أصول الأغانى : « عم مصعب » .
(٢) أصل الخبر مسندا فى بعض أصول الأغانى : « الزبير قال حدثتنى ظمياء مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت : سمعت جدك يقول ، وقد أنشد قول عمر » .
(٣) أجزت : جاوزت . والحبل : موضع بعرفات . والمعرف : موضع الوقوف بها . وذو عشر : واد بين البصرة والكوفة .
(٤) السدر : المتحير .
(٥) فى بعض أصول الأغانى : « قالت » على أن المحدثة ظمياء .
(٦) النوطة : التعلق .
(٧) فى بعض أصول الأغانى : « ليست » .

ما أصف لك : أشعر قُريش مَن دقّ معناه ، ولَطُف مَدْخَله ، وسَهُل مَخْرجه ، ومَتُن حَشْوه ، وتَعطَّفت حواشيه ، وأنارتْ مَعانيه ، وأعرب عن حاجته . فقال المفضّل للحارث : أليس صاحبُنا الذى يقول :

إنِّى ومانَحروا غَداةَ مِنًى ... عند الجمار يؤودها (١) العَقْلُ
لو بُدِّلتْ أعلى مَساكِنها ... سُفْلاً وأصبح سُفْلها يَعْلُو
فيكاد يَعْرِفها الخبيرُ بها ... فيردُّه الإقْواء (٢) والمَحْل
لَعرفْتُ مَغْناها بما (٣) ضَمِنت ... منِّى الضُّلوعُ لأهلها قَبْل

فقال له ابنُ أبى عَتيق : يابن أخى ، استُرعلى نفسك ، واكتُم على صاحبك، ولا تُشاهد المحافلَ بمثل هذا . أمَا تَطيّر الحارثُ لها (٤) حين قَلب رَبْعَها فجعل أعاليه حجارةً من سجِّيل ! ابنُ أبى ربيعة كان أحسنَ صُحبة للرَّبع من صاحبك، وأجملَ مُخاطبةً ، حيث يقول :

سائلاَ الرَّبْع بالبُلَىّ وقُولا ... هِجْتَ شوقاً لىَ الغداةَ طويلاَ

وذكر الأبيات الماضية . قال : فانصرف الرجلُ خَجِلاً مُذْعِنا .

تلقيب الحارث بالقباع

قيل : وإنما لُقِّب الحارث ، أخو عمر بن أبى ربيعة ، بالقُبَاع ، لأنّ عبد الله بن الزُّبير كان ولّاه البَصْرة، وكان رجلاً صالحاً، فرأى مِكْيالا لهم، فقال: إنّ مِكْيالكم هذا لَقُبَاع . وهو الشىء الذى له قَعر . فلُقِّب بالقُباع .

عمر وقد نهاه الحارث عن قول الشعر

وذُكر أنّ الحارثَ هذا نَهَى أخاه عُمر عن قول الشِّعر ، فأبَى أن يقبلَ منه، فأعطاه ألف دينار على ألاّ يقولَ شيئاً . فأخذ المالَ وخرج إلى أخواله بلَحْج

(١) يؤودها : يبهظها ويثقلها . والعقل : الحبس .
(٢) الإقواء : خلو الديار من أهلها . والمحل : الجدب .
(٣) فى بعض أصول الأغانى والديوان : «احتملت» .
(٤) فى بعض أصول الأغانى : «عليها» .

وأَبْين، من اليمن، مخافةَ أن يَهيجه مُقامُه بمكة على قول الشِّعر. فطرب يوماً، فقال:

هيهاتَ مِن أَمَةِ الوَهَّابِ منزلُنا ... إذا حَلَلْنا بسيفِ البحر من عَدَنِ
وأحتلّ أَهْلُكِ أَجياداً فليس لنا ... إلا التذكُّر أو حَظٌّ من (١)الحَزَن
لو أنّها أبصرتْ بالجِزْع عَبْرتَه ... من أن يُغَرِّدَ قُمْرِيٌّ على فَنَن
إذا رأتْ غيرَ ما ظنَّت بصاحبها ... وأيقنتْ أنّ لَحجاً ليس من وَطَنى
ما أَنْس لا أَنْس يومَ الخَيْف (٢)مَوْقفَها ... ومَوْقفى وكلانا ثَمَّ ذو شَجَن
وقولَها للثُّرَيّا وهى باكيةٌ ... والدمعُ منها على الخدَّين (٣)ذو سُنَن
تالله (٤)قُولى له فى غير مَعْتبةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْث فى اليمن
إن كنتَ صادفتَ (٥)دُنيا أوظَفِرتَ (٦)بها ... فهل أخذتَ بفَوت (٧)الحجّ من ثَمن

قال: فسارت القصيدةُ حتى سمعها أخوه الحارثُ، فقال: هذا شعر عُمر! وقد فَتَك وغَدَر!

الوليد بن يزيد وأصحابه فى أغزل بيت

وقيل: إنّ الوليدَ بنَ يزيدَ بن عبد الملك قال لأصحابه ذاتَ ليلة: أىّ بيت قالتْه العربُ أغزل؟ فقال بعضُهم: قولُ جَميل:

يموتُ الهَوَى منّى إذا ما لقيتُها ... ويَحْيا إذا فارقتُها فيعودُ

وقال آخر: قولُ عمرَ بن أبى ربيعة:

كأنّنى حين أُمْسِى لا تُكلِّمنى ... ذو بُغْيةٍ يَبْتغى ما ليس موجودَا

---

(١) أجياد: موضعان بمكة، الكبير والصغير.
(٢) الخيف: موضع بمنى. والرواية فى الديوان:
* بل ما نسيت ببطن الخيف موقفها *
وفى الأصل: «الحى».
(٣) سنن: طرائق؛ الواحدة: سنة.
(٤) فى الديوان وبعض أصول الأغانى: «بالله».
(٥) فى الديوان وبعض أصول الأغانى: «حاولت».
(٦) فى الديوان: «نعمت». وفى بعض أصول الأغانى: «رضيت».
(٧) فى الديوان: «بترك».

فقال الوليد : حَسْبك والله بهذا !

هو وجميل وقد تناشدا

وذَكر أبو الحارث ، مولى هِشام بن الوليد بن المُغيرة ، قال :

شهدتُ عمرَ بنَ أبى ربيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعْمر العُذْرىّ ، وقد اجتمعا بالأَبْطح ، فأَنشد جميلٌ قصيدتَه التى يقول فيها :

لقد فَرِح الواشُون أنْ صَرَمَتْ حَبْلى ... بُثَيْنَةُ أو أَيدتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يقُولون مَهْلاً يا جَميلُ وإنَّنى ... لأُقْسِم مالى عن بُثَينةَ مِن مَهْل

ومن هذه القصيدة :

خليلىّ فيما عِشْتُما هل سَمِعتُما ... قَتيلاً بكى من حُبِّ قاتله قَبْلى
أَبيتُ مع الهُلَّاك[1] ضَيْفاً لأهلها ... وأهلى قريبٌ مُوسِعون أولو فَضْل
أَفِقْ أيّها القَلْب اللَّجُوج عن الجَهْل ... ودَعْ عنك جُمْلاً لا سبيلَ إلى جُمْل
فلو تركتْ عَقْلى معى ما طلبتُها ... ولكنْ طِلَابِيها[2] لِمَا فاتَ من عَقْلى

حتى أتى على آخرها . ثم قال لعمر : يا أبا الخطّاب ، هل قلتَ فى هذا الروىّ شيئاً ؟ قال : نعم . قال : فأَنشدنيه . فأنشده قولَه :

فلما تواقفْنا عرفتُ الذى بها ... كمثل الذى بى حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ
فَقُلْنَ لها هذا عِشاءُ وأهلُنا ... قريبٌ أَلَمّا تَسْأمى مَرْكب البَغْل
فقالتْ فما شئْتُنّ قُلْن لها أُنزلى ... فَلَلْأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْل
فسلّمتُ واستأنستُ خِيفةَ أن يَرَى ... عدوٌّ مُقامى أو يَرَى كاشحٌ فِعلى
فقالت وأَرْخت جانبَ السِّتْر إنما ... معى فتكلّم غيرَ ذى رِقْبة أهلى
فقُلْتُ لها مابى لَهم من ترقُّبٍ ... ولكنَّ سِرِّى ليس يَحمله مِثْلى

(١) الهلاك : الصعاليك .
(٢) طلابيها ، أى طلبى إياها .

فلما اختصرنا[1] دونهن حديثنا ... وهُنَّ طَبِيباتٌ بحاجة ذى[2] الشَّكْل
عَرَفْن الذى تَهْوى فَقُلْن ائذنى لنا ... نَطُفْ ساعةً فى بَرْد ليلٍ وفى سَهْل
فقالتْ فلا تَلْبثْن قُلْن تَحدَّثى ... أَتيناكِ وانْسَبْن انْسِيابَ مَهَا الرَّمْل
فقُمْنَ وقد أَفْهَمْن ذا اللُّبِّ أنما ... أَتَيْن الذى يَأْتين ذلك من[3] أَجْلى

فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب ! لا أقول مثلَ هذا سَجِيسَ اللَّيالى[4] ! والله ما خاطب النساءَ أحدٌ مخاطَبَتَك . وقام مُشمِّراً .

هو وابن أبى عتيق فى شعر له

وقال ابنُ أبى عَتيق لعُمر ، وقد أنشده قولَه :

بينَا يَنعَتْنى أَبصرْنَنى ... دونَ قِيدِ المِيلِ[5] يَعْدُو بى الأَغَرّ
قالت الكُبْرَى أتعرِفْن الفَتَى ... قالت الوُسْطى نعم هذا عُمر
قالت الصُّغرى وقد تَيَّمتُها ... قد عَرفناه وهل يَخفى القمر

أنت لم تَنْسُب بها وإنما نَسبتَ بنفسك ، وكان ينبغى أن تقول : قلت لها فقالت لى ، فوضعتُ خدِّى فوطِئت عليه .

من شعره

ومن شعر عُمر السَّهلِ قولُه :

فلما تواقَفْنا وسلَّمتُ[6] أشرقتْ ... وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تَتقنَّعَا
تَبالَهْن بالعِرْفان لمّا[7] عَرفْننى ... وقُلْن امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ[8] وأَوْضَعَا
وقَرَّبن أسبابَ الهَوى لِمُتَيَّم ... يَقِيس ذراعاً كُلَّما قِسْنَ إصْبَعَا

(١) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « اقتصرنا » . (٢) الشكل : دل المرأة .
(٣) فى بعض أصول الأغانى : « من ذاك » . والرواية فى الديوان :
* فعلن الذى يفعلن فى ذاك من أجلى *
(٤) سجيس الليالى ، من كلمات التأييد . تقول : لا أفعله سجيس الليالى ، أى لا أفعله أبداً .
(٥) قيد الميل : قدره .
(٦) فى بعض نسخ الأغانى : « وسلمت أقبلت » . وفى بعض آخر : « وسلمت أشرفت » .
(٧) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « لما رأينى » .
(٨) أكل بعيره وأوضعه : أى أعياه وحمله على الإسراع .

ومن حُسن وصفه قوله :

لها من الخِشْف[1] عيناه وسُنَّته[2] ونَخوةُ السابق المُخْتال إذ صَهَلاَ

ومن حسن عَزَائه قولُه :

أألحقُ إنْ دارُ الرَّباب تَبــاعدتْ أو أُنبتّ حَبْــلٌ أنّ قَلْبك طائرُ
أفِقْ قد أفاق العــاشقون وفارقُوا الْـ ـهوى واستمرَّتْ بالرِّجال [3]المَرائر
زَعِ [4] النفسَ واستَبقِ الحياءَ فإنما تُبــاعد أو تُدْنِي الرَّبابَ المَقــادِر
أَمِتْ حُبَّها واجعــلْ قَديم وِصــالِها وعِشْرَتِها أمثالَ[5] من لا تُعاشر
وهَبْها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ به الدارُ أو مَنْ غَيَّبته المَقــابر
فكالنّاس عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تكُن أحاديثَ مَن يَبْدو ومَن هو [6]حاضِر

ومن بديع إنْطاقه للقَلب قولُه :

قال لى فيهــا عَتيقٌ مقــالاً فجرتْ مِمّــا يَقول الدُّموعُ
قال لى ودِّعْ سُليمى ودَعْهــا فأجابَ القلبُ لا أَسْــتطيع

وقال مُصعبٌ الزُّبيرى : أَجمع أهلُ بلادنا، ممّن له عِلْم بالشعر، أنَّ هذه الأبيات أَغْزلُ ما سمعوا ، وهى قولُه :

تقولُ غــداةَ أُلتَقَيْنــا الرَّبابُ أياذا أَفَلْتَ أُفُــولَ السِّماكِ

---

(١) الخشف : الظبى ، وقيل: هو أول مايولد . وقيل: أول مايولد الظبى فهو طلا، ثم خشف. والرواية فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « الريم » .

(٢) السنة : الصورة . والرواية فى بعض أصول الأغانى : « ولفتته » .

(٣) المرائر : العزائم ، الواحدة : مريرة . واستمرت : قويت .

(٤) زع النفس : ازجرها وانهها .

(٥) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « كمثل » .

(٦) يقال : بدا ، إذا خرج إلى البدو . وحضر ، إذا نزل الحضر .

وفَضَّت[١] سوابقَ من عَبْرةٍ كما انفضَّ[٢] نَظْمٌ ضعيفُ[٣] السِّلَاك
فقلتُ لها مَنْ يُطِع فى الصَّديـ ـق أعداءه نَجتنبْه[٤] كذاك
أغرَّكِ أنّى عصيتُ المَلا مَ فيكِ وأنّ هوانا هواك
وألاّ أرى لذةً فى الحيـ ـاةِ تَقَرُّ بها العينُ حتى أراك
فكان من الذَّنب لى عِنْدكم مُلازمتى[٥] وأتّباعى رِضاك
فليتَ الذى لامَ فى حُبِّكم وفى أنْ[٦] تُزارِى بقَرْنٍ[٧] وَقاك
هُمومَ الحياةِ وأسقامَها وإن كان حَتْفٌ جَهيزٌ[٨] فَداك

ومن عَفيف شعره قولُه :

طال لَيْلى واعتادَنى اليومَ سُقْمُ وأصابتْ مقاتلَ القَلْب نُعْمُ
حُرَّةُ الوَجه والشَّمائل والجوْ هَر تَكْليمُها لِمنْ نَال غُنْمُ
وحَديث بِمِثْله تُنْزَلُ العُصْـ ـمُ[٩] رَخيم يَشوبُ ذلكَ حِلْمُ
هكذا وَصْفُ ما بَدا لِىَ منْها ليس لى بالّذى تغيَّبَ عِلْمُ
إنْ تَجُودى أو تَبْخلى فبِحَمْدٍ ليس فيما أَتيتِه لك ذَمُّ

ومن بَديع شِعْره الذى يُرجِّح فيه الشكّ على اليقين قولُه :

نظرتُ إليها بالمُحصَّب من مِنًى ولى نظرٌ لولا التَّحرُّج[١٠] عارمُ

---

(١) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « وكفت » . (٢) رواية الديوان : « ارفض » .
(٣) السلاك ، بالكسر : جمع سلك ، بالكسر أيضاً . مقيس غير مسموع . كما تقول فى الذئب : ذئاب .
(٤) فى الديوان والكثرة من نسخ الأغانى : « يجتنبه »
(٥) فى الديوان وبعض أصول الأغانى : « مكارمتى » . (٦) فى الأصل : « ولا أن » .
(٧) يريد بقرن : قرن المنازل ، وهو ميقات أهل نجد تلقاء مكة ، على يوم وليلة . قال أبو الفرج : وكثيراً ما يذكره فى شعره .
(٨) جهيز : سريع .
(٩) العصم من الظباء : ما فى ذراعيها بياض . (١٠) عارم : فيه شراسة وحدة .

فقلتُ أشَمْسٌ أم مَصابيحُ بِيعَةٍ ... بدتْ لكَ خَلْفَ السِّجْفِ أم أنت حالمُ
بعيدةُ مَهْوَى القُرْطِ إمَّا لنَوفَلٍ ... أَبُوها وإمَّا عبدُ شمْس (١) وهاشم
ومَدَّ عليها السِّجْفَ يوم لقيتُها ... على عَجَلٍ تُبَّاعُها والخوادِم
فلم أَسْتطعْها غيرَ أنْ قد بدا لنا ... عَشيّةَ راحتْ وجهُها والمعاصِم
إذا ما دعتْ أترابها فاكْتَنَفْنها ... تمايَلْن أو مالتْ بهنّ (٢) المآكم
طَلَبْن الصِّبا حتى إذا ما أصَبْنه ... نزَعْن وهُنّ المُسلمات الظَّوالم

ومن بديع اعتذاره قولُه :

عاوَد القلبَ بعضُ ما قد شَجاه ... من حَبيبٍ أَمْسَى هَوَانا هَواهُ
يا لَقَوْمى فكيف أَصْبر عمّن ... لا تَرَى النَّفسُ طِيبَ عَيْشٍ سِواه
أَرْسلتْ إذ رأتْ بعادِيَ ألاّ ... يَقْبَلَن بى مُحرِّشاً (٣) إنْ أتاه
دونَ أن يَسْمَع المقالة منّا ... ولْيُطِعْنى فإنّ عندى رضاه
لا تُطِعْ بى فدَتْك نفسى عدُوًّا ... لحديثٍ على هَوَاه افْتَراه
ما ضِرَارِى نَفْسى بِهِجْرة مَنْ لي ... سَ مُسيئاً ولا بَعيداً (٤) نَواه
واجْتِنابى بَيْتَ الحبيب وما الخُلْـ ... ـدُ بأشْهَى إلىّ مِنْ أنْ أَرَاه

ومن شِعْره فى صِدْق المودَّة قولُه :

كلُّ وصْلٍ أمسى لديكَ لأُنثى ... غيرِها وَصْلُها إليها أداء
كلُّ أُنثى وإنْ دنَتْ لِوصَالٍ ... أَوْ نأتْ فَهْىَ للرَّبابِ الفِداء

وقولُه :

أُحِبُّ لحبِّك مَن لم يَكُنْ ... صَفِيًّا لِنَفْسى ولا صاحِبَا

(١) بعيدة مهوى القرط : كناية عن طول العنق فى غير قبح ، وهو مما يمدح .
(٢) المآكم : جمع مأكمة ، وهى العجيزة . (٣) المحرش : المغرى .
(٤) نواه : داره .

وأَبْذُل مالِى لمرْضاتِكم ... وأُعْتِب مَنْ جاءكم عاتِبا
وأرغبُ فى وُدِّ مَن لم أكُن ... إلى وُدِّه قبلكم راغِبا
ولو سَلك الناسُ فى جانبٍ ... مِنَ الأرْض واعتزلتْ جانبا
ليمَّمْتُ طِيَّتها [1] إننى ... أَرى قُرْبها العَجبَ العاجِبا

ومن شِعره ، الذى قَدَح فيه فأوْرى ، قَوْله :

طال لَيْلِى وتَعنَّانى [2] الطَّرَبْ ... واعترانى طُولُ هَمٍّ ونَصَبْ
أرسلتْ أسْماءُ فى مَعتَبةٍ ... عَتَبَتْها وهى أحْلَى مَنْ عَتب
أنْ أتَى منها رسولٌ [3] مَوْهِناً ... وجَد الحىَّ نِياماً فانقلب
ضربَ البابَ فلم يَشْعُر به ... أحدٌ يَفتَح عنه إذ ضَرَب
قال أيْقاظٌ ولكِنْ حاجةٌ ... عَرَضتْ تُكْتَم منّا فاحتَجب
ولَعَمْداً ردَّنى فاجتهدتْ ... بيمينٍ حَلْفَةً عِنْد الغضب
شَهِد الرَّحمنُ لا يجمعُنا ... سَقْفُ بَيْتٍ رَجَباً بعد رَجَب
قلتُ حِلاً فاقْبلى مَعْذِرتى ... ما كذا يجْزِى مُحِبٌّ مَنْ أَحَبّ
إنّ كفِّى لكِ رَهْنٌ بالرِّضَى ... فاقْبلى يا هندُ قالت قد وجب

هو وأسماء

ذُكر أنّ سَبب قوله هذه الأبيات أنه كان يَهْوى امرأةً يقال لها أسماء ، وكان الرسولُ يختلف بينهما زَماناً ، وهو لا يقدِر عليها ، ثم وعدتْه أنْ تَزُورَه ، فتأهّب لذلك وانتظرها ، فأبطأت عليه حتى غلبتْه عَيْنُه فنام . وكانت عنده جاريةٌ

(١) طيتها : ناحيتها .
(٢) تعنانى : أو قعنى فى العناء والمشقة . والطرب : خفة تعترى الإنسان من شدة الفرح أو الحزن أو الهم .
(٣) موهناً : نحواً من نصف الليل . .

تخْدُمه . فلم تلْبث أن جاءت ومعها جاريةٌ لها . فوقفت مُتنحيةً وأمرت الجارية أن تَضْربَ البابَ، فضربته فلم يَسْتيقظ . فقالت : تَطلَّعى فانْظُرى ما الخبر ؟ فقالت : هو مُضطجع و إلى جَنْبه امرأةٌ . فخلفتْ ألاّ تزُوره حَوْلاً . و بعث إليها امرأةً كانت تختلف بينه و بينَ معارفه ، وكانت جَزْلةً [1] من النِّساء ، فَصدَقتْها عن قِصتّه ، وحَلفت لهـا إنه لم يكن عنده إلاّ جاريتُه ، فرضيتْ . و إياهـا عنى عُمر بقوله :

فأتتْهـا طَـبَّةٌ [2] عالمـةٌ تخْلِطُ الجِدَّ مِراراً باللَّعبْ
تُغْلِظ القولَ إذا لانتْ لهـا وتُراخِى عند سَوْراتِ الغَضب
لم تزَلْ تَصْرفهـا عن رأْيهـا وتأنَّاهـا [3] برفْقٍ وأَدَب

الوليد وحماد فى شـعر عمر

قال حمّاد الرَّاوية : اسْتَنشدنى الوليـدُ بن يزيد ، فأنشدتُه نحْواً من ألف قصيدةٍ ، فما استعادنى إلاّ قصيدةَ عُمر بن أبى ربيعة :

* طالَ ليْلي وتعَنَّانِى الطَّرَبْ *

فلما أنشدتُه قولَه :

فأتتْهـا طَـبَّةٌ عالمـةٌ تَخْلِط الجِدَّ مِراراً باللَّعبْ

إلى قوله :

إنّ كفِّى لكِ رَهْنٌ بالرِّضَى فاقبلى ياهِندُ قالت قد وَجَب

فقال لى الوليد : ويحك يا حمّاد ! أطْلُب لى مثـلَ هذه أُرسلها إلى سَلْمَى . يعنى امرأته سَلمى بنتَ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وكان طلّقها ليتزوَّج أخْتَها ، ثم تَتبَّعتْها نفسُه .

---

(١) جزلة : عاقلة أصيلة الرأى .
(٢) طبة : حاذقة رفيقة .
(٣) تأناها ، أى تتأناها ، بمعنى تتمهل عليها .

ومن شعره فى تسهيل الأمر قولُه :

قالتْ على رِقْبةٍ يوماً لجارتِها ... ما تأْمُرينَ فإنّ القَلْبَ قد [1]تَبِلاَ
وهَلْ لِيَ اليومَ من أُختٍ مُواخِيةٍ ... منكُنّ أشكو إليها بعضَ ما فَعَلا
فراجعتْها حَصَانٌ غيرُ فاحِشةٍ ... برَجْعِ قَوْلٍ ولُبٍّ لم يكن [2]خَطِلا
لا تَذْكُرى حُبَّه حتّى أُراجِعَه ... إنّى سَأَكْفيكِه إنْ لم أمُتْ عَجِلا
فاقْنَىْ حَياءَك فى سِتْرٍ وفى كَرَمٍ ... فلستِ أوّلَ أُنثى عُلِّقتْ [3]رَجُلا

هو ورجل يكلم امرأة فى الطواف

وذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة نَظر إلى رجل يُكلِّم امرأةً فى الطَّوَاف ، فَعاب ذلك عليه وأنكره . فقال : إنها ابنةُ عمّى . فقال : ذلك أشْنع لأمرك ! فقال : إنّى خَطبتُها إلى عَمّى فأَبَى علىّ إلّا بصَداقِ أربعمائة دينار ، وأنا غير مُطيق ذلك . وشكا إليه من حُبِّها وكَلَفه بها أمراً عظيما ، وتَحمَّل [4] به على عمِّه . فصار معه إليه فكلَّمه . فقال : هو مُملِق ، وليس عندى ما أُصلح به أمْرَه . فقال له عُمر : وكم الذى تُريده منه ؟ فقال : أربعمائة دينار . فقال له : هى علىَّ ، فزوِّجه . ففَعل ذلك .

هو وجارية له بعد ما أسن وحلف لا يقول شعرا

وكان عُمر حين أَسنَّ حلَف ألّا يقُول بيتَ شِعْر إلّا أعْتقَ رَقَبَةً . فانصرف عمرُ إلى منزله يُحدِّثُ نَفْسَه . فجعلتْ جاريةٌ له تُكلِّمه فلا يردّ عليها جواباً ، فقالت له : إنَّ لك لأمراً ، وأراك تُريد أن تقول شعراً . فقال :

تقُول وَليدتِى لمّا رأتنى ... طَرِبْتُ وكُنتُ قد أقْصرتُ حِيناَ
أراكَ اليومَ قد أحدثتَ شَوْقاً ... وهاجَ لك الهَوَى داءً دَفِينا

(١) تبل : أسقمه الهوى وغلبه الحب .
(٢) حصان : عفيفة . وخطلا : فاسداً مضطرباً .
(٣) اقنى حياءك : الزميه .
(٤) تحمل به : استشفع به .

وكنتَ زعمتَ أنّك ذو عَزَاءٍ إذا ما شِئْتَ فارقْتَ القَرينا
بربِّك هل رَأَيْت لها رسُولاً فشاقَك أَمْ لَقيتَ لها[1] خَدينا
فقُلْتُ شكا إلىَّ أَخٌ مُحِبٌّ كبَعْض زَماننا إذ تَعْلَمينا
وقَصَّ علىَّ ما يَلْقَى بهِنْدٍ فذكَّر بَعْضَ ما كُنّا لقِينا
وذو الشَّوْق القَدِيم وإنْ تَعَزَّى مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى العاشِقينا
وكَمْ من خُلَّةٍ[2] أَعْرضتُ عنها لغيرِ قِلًى وكنتُ بها ضَنِينَا
أردتُ بِعادَها فصدَدْتُ عنها ولو جُنَّ الفُؤادُ بها جُنُونا

ثم دعا بتِسْعةٍ من رَقِيقه فأَعْتقهم ، لكل بَيْتٍ واحدٌ .

هو وعروة فى ابنه محمد

وذُكر أنّ عُمر بن أبى ربيعة كان يُساير عُروة بن الزُّبَير ويُحدِّثه ، فقال له : وأين زَيْنُ المواكب ؟ يعنى ابنَه محمدَ بن عُرْوة ، وكان يُسمَّى بذلك لجمَاله . فقال عُروة : هو أمامك. فركَض يطلُبه . فقال له عُروة : يا أبا الخَطَّاب ، أولَسْنا أكْفاءً كِراماً لمُحادثتك ومُسايرتك؟ فقال : بلى ، بأَبى أَنْت وأُمِّى ! ولكنّى مُغْرًى بهذا الجَمَال [أَتْبعه] حيث كان . ثم التفت إليه وقال :

إنِّى امرؤٌ مُغْرمٌ بالحُسْن أَتْبعه لا حَظَّ لى فيه إلّا لذَّةُ النَّظَرِ

ثم مَضى حتى لَحِقه ، وجَعل عُرْوة يَضْحك من كلامه تَعَجُّباً منه .

هو ومالك بن أسماء فى الحج

وقيل : رأى عمرُ بن أبى رَبيعة رجلاً يطوف بالبيت ، قد بَهر النّاسَ بجَمَاله وتَمامه ، فسأل عنه ، فقيل له : هذا مالكُ بن أَسماء بن خارجة . فجاءه فسلّم عليه وقال له : يابن أخى ، ما زلتُ أَتشوّقك منذُ بلغنى قولُك :

إنّ لى عند كلِّ نَفْحةِ بُستا نٍ مِن الوَرْدِ أَوْ مِن[3] الياسِمِينَا
نَظْرةً والتفاتةً أَتمنَّى أن تكونى حَلَلتِ فيما يَلِينا

(١) الخدين : الصديق الذى يكون معك فى كل ظاهر وباطن . وفى الأصل : « قرينا » .
(٢) الخلة : الخلياة . (٣) الياسمين ، جعله جمع « ياسم » وهو قول فيه .

ويُروى : « أترجّى * أن تكونى حَلَلْت » .

هو وأبو الأسود وقد عرض لامرأته فى الطواف

وذُكر أنه حَجَّ أبو الأسود الدِّيلى[1] ومعه امرأتُه ، وكانت جميلةً . فبينا هى تطوفُ بالبيت ، إذ عَرض لها عمرُ بن أبى ربيعة ، فأتتْ أبَا الأسود فأخبرتْه . فأتاه أبو الأسْود فعاتبه . فقال له عُمر : ما فعلتُ . فلمّا عادتْ إلى المسجد عاد فكلّمها . فأخبرت أبا الأسود . فأتاه فى المسجد ، وهو مع قوم جالسٌ ، فقال :

وإنّى لَيَثْنِينى عن الجَهْل والخَنَا ... وعن شَتْم أقوامٍ خلائقُ أربعُ
حَياءٌ وإسْلامٌ وبُقْيَا[2] وأنّنى ... كريمٌ ومثلى قد يَضُرُّ ويَنْفع
فشتّان ما بينى وبينك إنّنى ... على كل حالٍ أستقيم وتَظْلع

فقال له عمر : لستُ أعود يا عَمّ لكلامها بعد هذا اليوم . ثم عادتْ ، فكلّمها . فأتت أبا الأسود فأخبرتْه . فجاء إليه فقال له :

أنت الفَتى وابنُ الفَتى وأخو الفَتى ... وسيّدنا لولا خلائق أربعُ
نُكُولٌ عن الجُلّى وقُرْبٌ من الخَنَا ... وبُخْلٌ عن الجَدْوَى وأنّكَ[3] تُبَّعُ

ثم خرجتْ وخرج معها أبو الأسودُ مُشتملاً على سيف . فلما رآهما عمرُ أعْرض عنهما . فتمثّل أبو الأسود :

تَعْدُو الذِّئابُ على مَنْ لا كِلَابَ له ... وتَتَّقى صَوْلَةَ المُستأسِد الحامِى

هو والفرزدق

وقيل : قَدِمَ الفَرزدقُ المدينةَ ، وبها رجلان ، يقال لأحدهما : صُرَيْم ؛ والآخر : ابنُ أسماء . وُصِفا له ، فقصدهما . وكان عندهما قِيَانٌ . فسلّم عليهما وقال : مَن أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا فِرْعون . وقال الآخر : أنا هامان . فقال : أين منزلكما فى النّار

(١) الديلى : نسبة إلى « دئل » بضم الدال وكسر الهمزة ، قبيلة من كنانة . وتقول فى النسبة إليها أيضاً : دؤلى ، ودولى ، بالتسهيل ، وديلى . (انظر شرح القاموس) .
(٢) بقيا ، أى شفقة ورحمة .
(٣) تبع : يتبع النساء ويجد فى طلبهن .

حتى أَقْصِدَ كما ؟ فقالا : نحن جيران الفرزدق الشاعر . فضحك ، ونَزل فسلَّم عليهما وسلّما عليه ، وتعاشروا مدةً ، ثم سألهما أن يَجْمعا بينه و بين عُمر بن أبى ربيعة ، ففعلا . واُجتمعا فتحادثا وتناشدا ، إلى أَنْ أَنشده قصيدته التى يقول فيها :

فلمّا ٱلتقَينا واُطمأنتْ بنا النَّوى وغُيِّب عنّا مَنْ نَخافُ ونُشْفِقُ

حتى اُنتهى إلى قوله :

فقُمْنَ لكى يُخْلِينَنَا[1] فترقرقتْ مَدامعُ عَينيْها وظلَّت تَدَفَّقُ
وقالت أَمَا تَرْحمنى لا تَدَعْنى لدَى غَزِلٍ جَمِّ الصَّبابة[2] يَخْرُق
فقلن اسْكُتى عنَّا فلستِ مُطاعةً وخِلُّك مِنَّا فاعلِمى بك أَرْفَق

فصاح الفرزدق : أنت والله يا أبا الخطّاب أغزلُ الناس! لا يُحسن والله الشُّعراء أن يقولوا مثلَ هـذا التَّشْبيب ، ولا أن يَرْقُوا مِثْل هذه الرُّقْيـة ! ثم وَدّعه وٱنصرف .

هو والحارث ابن عبد الله

وذُكر أنّه حجّ عبدُ الرحمن بن الحارث بن عبدالله بن عيّاش بن أبى ربيعة، مع أبيه الحارث، فأتى عُمَر بن أبى ربيعة ، وقد أسنَّ وشاخ ، فسلّم عليه وساءله ، ثم قال له : أىَّ شىء أَحْدثتَ بعدى يا أبا الخطّاب ؟ فأنشده :

تَقُولين إنّى لستُ أصدُق فى الهوى وإنّىَ لا أَرْعاكِ حِـين أَغيبُ
فما بالُ طَرْفى عَفّ عمّا تساقطت له أعـينٌ من مَعْشر وقُلوب
عشيّةَ لا يستنكر القومُ أن يَرَوْا سَفَاهَ اُمرىء ممّن يُقال لَبيب
ولافتنةً من ناسكٍ[3] أَوْمَضَتْ له بعين الصِّبَا كَسْلَى القِيَامِ لَعُوب
تروَّحَ يرجُو أن تُحَطَّ ذُنوبُه فآب وقد زِيدتْ عليه ذُنوب
وما النُّسك أَسْلانى ولـكنّما الهوى على العَينِ منِّى والفُؤادِ رَقيب

(١) يخلينا : يجعلننا فى خلوة منهن .
(٢) يخرق : يحمق . فى الأصل : « أخرق » . (٣) أو مضت له : وسارقته النظر.

شعره فى قينتى ابن هلال

ويقال : إنّ عمر بن أبى ربيعة قَدِم الكوفةَ ، فنزل على عبد الله بن هِلال ، الذى كان يُقال له: صاحبُ إبليس ، وكانت له قَيْنتان حاذقتان . فكان عُمر يأتيهما فيسمع منهما ، فقال فى ذلك :

يا أهْلَ بابلَ ما نَفِسْتُ[1] عليكمُ ... مِنْ عَيْشكم إلّا ثلاثَ خِلالِ
ماءَ الفُرات وطِيبَ لَيْلٍ باردٍ ... وغِناءَ مُحْسنتين لابن هِلال

هو و بعض الشعراء فى وصف برق

وقيل: إنّ عُمر بن أبى رَبيعة، والحارثَ بن خالد، وأبا رَبيعة المُصْطَلِقىّ، ورجلاً من بنى مَخْزوم، خَرجُوا يُشيِّعون بعضَ خُلفاء بنى أُمية . فلما انصرفوا نزلوا بسَرِفَ، فلاح لهم بَرْق . فقال الحارث : كلُّنا شاعر ، فهلمُّوا نَصِفِ البرق . فقال أبو ربيعة :

أرِقتُ لبرقٍ آخرَ اللّيل لامعٍ ... جَرَى من سَنَاه ذو الرُّبَى[2] فيُنَابِعُ

فقال الحارث :

أرِقْتُ له ليلَ التَّمامِ ودُونه ... مَهامِهُ مَوْماةٍ وأرضٌ[3] بَلاقِعُ

فقال المخزومىّ :

يُضِىءُ عِضاهَ[4] الشَّوْكِ حتى كأنّه ... مَصابيحُ أو فَجرٌ من الصُّبْح ساطِعُ

فقال عمر :

أيا ربِّ لا آلُو المودَّة جاهِداً ... لأسماءَ فاصْنَعْ بى الذى أنت صانعُ

ثم قال : مالى وللبرق والشَّوْك !

هو وليلى البكرية

وقيل : لقى عمرُ بن أبى ربيعة ليلَى بنت الحارث بن عمرو البَكْريّة ، وهى

---

(١) نفس عليه كذا : غبطه من أجله. (٢) ينابع : موضع فى بلاد هذيل .

(٣) المهامه : المفاوز البعيدة ، الواحدة: مهمه . والموماة : الواسعة من الفلوات . والبلاقع : جمع بلقع ، وهى الأرض القفرة . (٤) العضاه : الشجر العظيم له شوك .

تَسير على بَغْلة لها ، وقد كان نَسَب بها ، فقال :جَعلنى الله فِداكِ ، عَرِّجى ها هنا أُسمعْك بعضَ ما قُلْتُه فيكِ . قالت : أوَ قد فعلت ؟ قال : نعم . فوقفتْ ، وقالت: هات . فأنشدها :

ألاَ ياليلُ إنّ شِفاء قَلْبى نوالُكِ إنْ بَخِلتِ فنوِّلينَا
وقد حَضَر الرَّحيلُ وحانَ منَّا فِراقُكِ فانظرى ما تأْمُرينا

فقالت : آمُرُكَ بتَقْوى الله، و إيثارِ طاعته، وتَرْكِ ما أنْت عليه . ثم صاحت ببغلتها ومَضتْ .

وفيها يقول :

إن لَيْلى وقد بَلغْتُ المَشيبَا لم تَدَعْ للنِّساء عندى نَصيبَا
هاجِرٌ بَيْتَها لأَنْفِىَ عنها قَولَ ذِى العَيْب إن أرادالعيُوبا

هو و بنت مروان ابن الحكم

وذُكر أنه حَجّت أُمُّ محمد بنت مروانَ بن الحكم ، فلمّا قضت نُسكَها أتت عُمر بن أبى ربيعة ، وقد أخْفت نَفسها فى نِسْوة ، فحدّثها مَليًّا . ثم لمّا انصرفتْ أتْبعها رسولاً حتى عَرف موضَعها،وسأل عنها حتى أثْبَتَها [1]. فعادتْ إليه بعد ذلك، فأخبرها بمعرفته إياها. فقالت : نَشَدْتُك الله أن تُشَهِّرَنى بشِعْرِك[2]! و بَعثتْ إليه بألف دينار . فقَبلها وابتاع بها حُلَلًا وطيباً وأهداه إليها . فردّته . فقال : والله لئن لم تَقْبليه لأُنْهبنّه [3] فيكونُ مَشْهوراً . فقبلتْه و رحلت . فقال فيها :

أيّها الرَّاحلُ المُجِدُّ ابتكارَا قد قَضَى من تِهامةَ الأوطارَا
مَن يَكُن قَلْبُه سَليماً صَحيحاً ففُؤادى بالخَيْف أمْسى مُعَارا

(١) أثبتها : تحققها وعرفها . (٢) أى سألتك بالله ألا تشهرنى فى شعرك . وهو من المواضع التى ينقاس فيها حذف « لا » النافية . (٣) لأنهبنه : أى لأبيحنه لمن شاء نهباً .

ليتَ ذا الدَّهْرَ كان حَتْماً علينا كُلَّ يومين حِجَّةً واعتمارا

وأنشد ابنُ أبى عتيق قولَ عُمر هذا . فقال : الله سُبحانه أكرمُ بعباده من أن يجعل عليهم ما سألتَه لِيتمَّ لكَ فِسْقُك .

هو وحميدة

وكان عُمر يهوى حُمَيدةَ جاريةَ ابنِ تُفَّاحة [1] ، وفيها يقول :

حُمِّل القَلْبُ من حُمَيْدَةَ ثِقْلاَ إنّ فى ذاكَ للفُؤاد لشُغْلاَ
إن فعلتُ الذى سألتِ فقُولى حَمْدُ خَيراً وأَتْبعى القولَ فِعلا
وصلِينى وأُشْهد الله أنّى لستُ أُصْفِى سواكِ ماعشتُ وَصْلا

وفيها يقول :

يا قَلْب هل لك عن حُمَيْدَةَ زاجِرُ أمْ أنت مُدَّكِرُ الحياءِ فصابرُ
فالقلبُ مِنْ ذِكْرَى حُميدةَ مُوجَع والدَّمْعُ مُنحدرٌ وعَظْمِىَ فاتِرِ
حتى بدا لى من حُمَيدةَ خُلَّتى بَيْنٌ وكنتُ من الفِراق أُحاذِرِ

هو وعراقية رآها فى الطواف

وحكى [علىُّ بن] طَريف الأسدىّ قال . سمعتُ أبى يقول :

بينما عمرُ بن أبى ربيعة يطُوف بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق ، فأعجبه جمالُها ، فمشى معها حتى عَرف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وناشدها وأنشدته ، وخطبها فقالت : إن هذا لا يصلُح ها هنا ، ولكنْ إن جِئْتنى إلى بلدى وخَطبْتنى إلى أهلى تزوجتُك . فلما ارتحلوا جاء إلى صديق له من بنى سَهْم وقال له : إن لى حاجةً أريد أن تُساعدنى عليها . فقال له : نعم ، وأخذ بيده . ولم يذكُر له ما هى . ثم أتى منزلَه فركب نَجيباً له وأركبه نَجيباً ، وأخذ معه ما يُصْلحه وسارا ، لا يَشُكُّ السَّهمىُّ فى أنه سَفر يومٍ أو يومين . فما زال يَحُثُّ حتى لحق بالرُّفْقَة ، ثم سار بسَيْرهم يُحادث المرأةَ طُولَ طريقه ، ويُسايرها وينزل عندها إذا نزلت ، حتى ورد

(١) فى بعض أصول الأغانى : « ابن ماجة » .

العراق . فأقام أياماً ، ثم راسلها يَتَنجّزها وعدَها . فأعلمتهُ أنها كانت متزوّجة ابنَ عَمٍّ لها وولدت منه أولاداً ثم مات ، فأوصَى بهم و بماله إليها ما لم تتزوَّج ، وأنها تخاف فُرْقةَ أولادها و زوال النِّعمة ، و بعثت إليه بخمسة آلاف دِرْهم واعتذرتْ . فردّ عليها المالَ ورحل إلى مكة . وقال فى ذلك قصيدتَه التى أوّلُها :

نام صَحْبى ولم أَنَمْ ... مِنْ خَيالٍ بنا أَلَمّْ
طاف بالرَّكْب مَوْهِناً ... بين خاخٍ إلى[1] عُظُم
ثم نَبَّهتُ صاحباً ... طَيِّبَ الخِيم[2] والشِّيَم
أَرْيَحيًّا مُساعِداً ... غيرَ نِكْس[3] ولا بَرَم
قلتُ يا عمرو شَفِّنى ... لاعجُ الحُبِّ والألَم
إيتِ هِنْداً فقُل لها ... ليلة الخَيْفِ ذى السَّلَم

بينه و بين الخاطبى وصاحب له وحديثه عن هند

وذكر عثمان بنُ إبراهيم الخاطبىّ قال :

أتيتُ عُمرَ بن أبى رَبيعةَ بعد أن نَسك بسنينَ ، وهو فى مَجْلس قومه من بنى مَخزوم ، فانتظرتُ حتى تفرّق الناسُ ، ثم دنوتُ منه ، ومعى صاحبٌ لى ظريف ، وكان قد قال لى : تعالَ حتى نَهيجه على ذِكْر الغَزَل ، فننظُرَ هل بقى فى نفسه منه شىء . فقال له صاحبى : يا أبا الخطّاب ، أكْرَمَك الله ؟ لقد أحسن العُذْرِىّ وأجاد فيما قال . فنظر إليه عُمر ثم قال : وما الذى قال ؟ قال : حيث قال :

لو جُذَّ بالسَّيفِ رأسى فى مَوَدّتها ... لمرَّ يَهْوِى سَرِيعاً نحوها راسِى

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاهْ ! لقد أجاد وأحسن . فقلتُ : ولله دَرُّ

(١) خاخ : موضع بين الحرمين . وعظم ، بضمتين ، وبفتحتين أيضا : عرض من أعراض خيبر . وفى بعض أصول الأغانى : « إضم » . وهو واد بجبل تهامة .

(٢) الخيم : الطبيعة والسجية .

(٣) النكس : الضعيف . والبرم : الذى لا خير عنده .

جُنادة العُذْرِىّ ! فقال عمر : فحيث يقول ماذا ؟ ويحك ! قلتُ : حيث يقول :

سَرَتْ لعَيْنك سَلْمَى بعد مَعْفَاهَا ... فبِتَّ مُسْتَنبِهاً مِن بعد مَسْراهَا

وقلتُ أهلاً وسَهلاً مَن هَداكِ لنا ... إنْ كنتِ تِمْثالَهَا أو كنتِ إيّاها

من حُبِّها أتمنَّى أنْ يُلاقِيَنى ... مِن نَحو بلدتِها ناعٍ فيَنْعاها

ولو تموتُ لَرَاعتْنِي وقلتُ ألَا ... يا بُؤْسَ للموت ليتَ الدهْرَ أبْقاها

قال : فضحك عمرُ ثم قال : وأبيك ، لقد أحسن وأجاد وما أساء ! ولقد هيّجتُما علىّ ساكناً ، وذكّرتمانى ما كان عنّى غائباً ، ولأحدّثنكما حديثاً حُلواً :

بينا أنا منذُ أعوام جالسٌ إذ أتانى خالدٌ الخِرِّيتُ فقال لى : يا أبا الخطّاب ، مرّت بى أربعُ نِسْوة قُبيل العشاء يُرِدْن موضعَ كذا وكذا ، لم أر مثلَهن فى بَدْوٍ ولا حَضَر ، فيهنّ هِنْد بنت الحارث المُرّيّة ، فهل لك أن تأتيهنّ متنكّراً تَسمع من حديثهنّ وتَسْتمتع بالنَّظر إليهنّ ولا يَعْلَمْنَ من أنت ؟ فقلت له : ويحك ! وكيف لى أن أُخْفِيَ نفسى ؟ قال : تلبس لِبْسة أعرابىّ ثم تجلِس على قَعُود ، فلا يَشعرْن إلا بك قد هَجمت عليهنّ . ففعلتُ ما قال وجلستُ على قَعُود ، ثم أتيتهنّ فسلّمت عليهن ، ثم وقفت بقُربهن . فسألنى أن أُنشدهن وأُحدِّثهن . فأنشدتهن لكُثيِّر وجَميل والأحوص ونُصَيب وغيرهم . فقلن لى : يا أعرابىّ ! ما أَمْلَحك وأظرفَك ! لو نزلتَ فتحدّثت معنا يومَنا هذا ! فإذا أَمْسيتَ انصرفتَ فى حِفْظ الله . قال : فأَنَخْتُ بَعيرى وتحدّثتُ معهنّ . ثم إنهن تَغامَزْن وجَعل بعضُهن يقول لبعض : كأنّا نعرفُ هذا الأعرابىّ ، ما أشبهه بعُمرَ بن أبى ربيعة ! فقالت إحداهن : هو والله عُمر ! فمدّت هِنْد يدَها فانتزعت عِمامتى فألقتْها عن رأسى ، ثم قالت : هِيهِ يا عمر ! أتُراك خَدَعْتَنا منذُ اليوم ؟ بل نحن والله خَدَعناك واحْتَلْنا عليك بخالدٍ لتأتِيَنا فى أسوأ هَيْئةٍ ، ونحن كما تَرى . قال عمر : ثم أخذنا فى الحديث ، فقالت هِنْد : ويحك يا عُمر ! اسمع منّى ، لو رأيتَنى منذُ أيّام وأصبحتُ عند أهلى ، وأدخلتُ

رأسى فى جَيْبى، فنظرتُ إلى حِرِى فإذا هو مِلْءُ الكفّ ومُنْيَةُ المُتمنِّى فناديتُ : يا عُمراه ! يا عُمراه ! قال عُمر : فصِحْتُ : يا لَبَّيْكاه ! يالبَّيكاه ! ثلاثاً ، ومددتُ فى الثالثة صوتى. فضحكت . وحادثتُهن ساعةً ثم ودَعتُهن وانصرفتُ، فذاك قولى:

عرفتُ مَصِيفَ الحَىِّ[1] والمُتَرَبَّعَا ... ببَطْنِ حُلَيَّاتٍ دَوَارِسَ[2] بَلْقَعَا
إلى السَّفْح من وادى المُغَمَّس بُدِّلت ... معالِمُه وَبْلاً وَنَكْباءَ[3] زَعْزَعَا
لهنْدٍ وأترابٍ لهنْدٍ إذ الهَوى ... جَميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يتَصَدَّعَا
وإذ نحن مِثْلُ الماءِ كان مِزاجُه ... كما صَفَّقَ[4] الساقِى الرَّحيقَ المُشَعْشَعَا
وإذْ لا نُطِيع الكاشِحين ولا نَرى ... لواشٍ لدينا يطلبُ الصَّرمَ[5] مَطْمَعَا

وله فيها قصيدتُه التى أوَّلُها :

يا صاحِبَىَّ قِفَا نَسْتَخْبِر الدَّارَا ... أقوتْ وهاجتْ لنا بالنَّعْفِ[6] تَذْكارَا
وقد أرَى مَرَةً سِرْباً بها حَسَناً ... مثلَ الجَآذِرِ لم يُمْسَسْن أبْكارا
فيهنّ هِنْدٌ وهِنْدٌ لا شبيهَ لها ... فِيمَن أقام مِن الأحياءِ أوْ سارا
تقول ليت أبا الخطّابِ وافقنا ... كى نَلْهُوَ اليومَ أو نُنْشَدَ أشْعارا

---

(١) المتربع : حيث ينزل القوم زمن الربيع . ورواية هذا الصدر فى الديوان :

* ألم تسأل الأطلال والمتربعا *

وكذا رواه القالى فى أماليه ثم قال : «وأملى علينا أبو عبد الله .«عرفت مصيف الحى والمتربعا » : وهو غلط ، لأن « عرفت مصيف الحى » أول قصيدة لجميل .

(٢) دوارس : عفت ومحت آثارها . وبلقع : خالية . يوصف به الذكر والأنثى . فإذا كان اسماً قلت : بلقعة ملساء .

(٣) المغمس : موضع قرب مكة فى طريق الطائف . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والنكباء : كل ريح من الرياح الأربع انحرفت ووقعت بين ريحين . وهى تهلك المال وتحبس القطر. وزعزع : شديدة .

(٤) صفق الشراب : مزجه . (٥) الكاشح : المضمر للعداوة .

(٦) أقوت : خلت . والنعف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل . وظاهر أنه يريد موضعاً بعينه .

فلم يَرُعْهنّ إلّا العِيسُ طالعةً ... بالقَوْم يَحْمِلْنَ رُكْباناً[1] وأَكْوارا
لمّا وقفْنا وعنَّينا ركائبَنا ... بُدِّلْن بالعُرْف بعد الرَّجْع إنكارا

ومنها :

لمّا ألمّتْ بأصْحابى وقد هَجَعُوا ... حَسِبْتُ وَسْط رِجَالِ القوم[2] عَطَّارا
فقلتُ مَنْ ذا المُحيِّى وانتَبهتُ له ... ومَن مُحَدِّثُنا هذا الّذى زارا
تَبَدَّلَ الرَّبْعُ ممَّن كان يسكُنه ... عُفْرَ الظِّباء به يَمْشِين أسْطارا

وقال فيها — قلتُ : وهو من ظريف الشعر — :

ليتَ هِنْدًا أَنْجَزَتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنْفُسَنا مما[3] تَجِدْ
واستبدَّت مَرَّةً واحدةً ... إنما العاجزُ من لا يَسْتبدّ
ولقد قالتْ لجاراتٍ لها ... ذاتَ يومٍ وتَعَرَّتْ[4] تَبْتَرِد
أكما يَنْعتُنى تُبْصرننى ... عَمْرَكُنّ اللهَ أم لا يَقْتَصِد
فتضاحَكْن وقد قُلْن لها ... حَسَنٌ فى كلِّ عَيْنٍ مَن تَوَدّ
حَسَداً حُمِّلْنَه من أَجْلِها ... وقَدِيماً كان فى النَّاس الحسد

وقال فيها :

يا مَن لقَلْبٍ دَنِفٍ مُغْرَمِ ... هامَ إلى هِنْدٍ ولم يَظْلِمِ
هامَ إلى رِئْمٍ هَضِيمِ الحَشَى ... عَذْبِ الثَّنايا طَيِّبِ المَبْسِمِ
لم أَحْسَبِ الشَّمْسَ بلَيْلٍ بَدَتْ ... قَبْلى لِذِى لُحْمٍ ولا ذِى دَمِ

---

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو رحل الناقة بأدواته .
(٢) العطار : بائع العطر .
(٣) مما تجد ، أى مما قد توطنت به من الحب الشديد .
(٤) تبترد : تغتسل بالماء البارد .

قالت ألَا إنّك ذو مَـلّةٍ يَصْرِفُك الأَدْنَى عن الأَقْدم
قلتُ لها بل أنتِ مُعتـلّة فى الوصل ياهندُ لكى تَصْرِمى

هووفاطمة بنت عبد الله بن مروان

وذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعـة كان جالساً بمنًى فى فِنـاء مِضْرَبه، وغِلْمـانُه حولَه، إذ أقبلت امْرأةٌ بَرْزَةٌ عليها أثر النِّعمة، فسلّمتْ. فردَّ عليها عمرُ. فقالت: أنت عمر بن أبى ربيعة؟ فقال: أنا هو، فما حاجتُك؟ قالت: حيّاك الله وقرَّبك! هل لكَ فى مُحادثة أحسنِ الناسِ وجهاً، وأتمّهم خَلْقاً، وأكملهم أدباً، وأشْرفهم حَسباً؟ قال: ما أحبَّ ذلك إلىَّ. قالت: على شَرْط. قال: قُولى. قالت: تُمْكننى من عَينيك فأَشُدُّهما وأَقُودك، حتى إذا توسَّطت المَوضع الذى أُريده حللتُ الشَّدَّ، ثم أفعلُ بك ذلك عند إخراجك حتى أنتهى بك إلى مِضْرَبك. فقال: شأنك. ففعلتْ ذلك. قال عمر: فلما انتهتْ إلى المِضْرب الذى أرادت، كشفتْ عن وجهى، فإذا أنا بامرأة على كرسىّ، لم أر مثلها قطُّ جمالاً وكمالاً. فسلّمتُ وجلستُ. فقالت: أنت عُمر بن أبى ربيعـة؟ قلت: أنا عمر. قالت أنت الفاضح للحرائر؟ قلت: وما ذاك؟ جَعلنى الله فِداك! قالت: ألستَ القائل:

قالت وعَيْشِ أخى ونِعْمة والدى لأُبينّ الحىَّ إنْ لم تخْرُجِ
فخرجتُ خوفَ يمينهـا فتبسَّمت فعلمتُ أنّ يمينها لم[1] تَلْجَج
فتناولتْ رأسى لتعرفَ مَسَّه بمُخَضَّب الأطراف غير[2] مُشَنَّج
فلَثَمْتُ فاهـا آخـذاً بقُرونهـا شُرْبَ النَّزيف ببَرْد ماء[3] الحَشْرج

ثم قالت: قُم فاُخرُج عنِّى، وقامت من مَجْلسها. وجاءت المرأةُ فشـدَّت عَيْنى، ثم أخرجتْنى حتى انتهتْ بى إلى مِضْربى، وتركتنى وانصرفتْ. فخلتُ

(١) لم تلجج: أى لم تعزمها.
(٢) مشنج: منقبض.
(٣) النزيف: من عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه. والحشرج: النقرة فى الجبل يجتمع فيها الماء فيصفو.

عينى، وقد دَخلنى من الكآبة والحُزن ما الله أعلم به ، و بِتُّ ليلتى . فلما أصبحت إذا أنا بها . فقالت : هل لك فى العَوْد ؟ قلت : شأنَكِ . ففعلت بى مثلَ فِعْلها بالأمس، حتى أُنتهتْ بى إلى الموضع . فلما دخلتُ إذا الفَتاة على كرسىّ. فقالت : إيهِ يا فضّاح الحرائر ! قلت : ماذا ؟ جَعلنى الله فِداك أيضاً ! قالت : بقَولك :

وناهدةِ الثَّدْيَيْن قلت لها اتَّكى ... على الرَّمْل فى دَيْمُومة لم تُمهَّدِ

فقالت على اسم الله أمرُك طاعةٌ ... و إن كنتُ قد كُلِّفتُ مالم أُعوَّد

فلما دنا الإصباح قالت فَضَحْتنى ... فقُم غيرَ مَطْرود و إن شئتَ فَازْدَد

ثم قالت : قُم فاُخرُج عنى . فخرجتُ. ثم رُدِدْتُ ، فقالت : لولا وَشْك الرَّحيل، وخَوْف الفَوت ، ومَحبَّتى لمُناجاتك والاستكثار من مُحادثتك لأقْصيتُك . هات الآن، كلِّمنى وحدِّثنى وأَنْشِدْنى . فكلَّمْتُ آدبَ الناس وأعلمَهم بكل شىء . ثم نَهَضتْ . وأبطأتِ العجوزُ وخلا لى البيتُ ، فأخذتُ أنظُر ، فإذا بتَوْرٍ (١) فيه خَلُوق.(٢) فأدخلتُ يدى فيه ، ثم خبأتُها فى رُدْنى.(٣) وجاءت تلك العَجوزُ فَشدَّت عَيْنى ونهضتْ بى تَقُودنى، حتى إذا صِرْتُ إلى باب المِضْرَب ، أخرجتُ يدى فضربتُ بها على المِضْرب . ثم صِرْتُ إلى مِضْربى، فدعوتُ غِلْمانى، فقلتُ : أيّكم يَقِفُنى على باب مِضْرَب عليه خَلُوق كأنه أثرُ كفٍّ فهو حُر وله خمسمائة دِرْهم؟ فلم ألبث أن جاء بعضُهم فقال :قُم. فنهضتُ معه، فإذا [أنا] بالكفّ طريّةٌ ،و إذا المِضْرَب مِضْرَب فاطمة بنت عبد الملك بن مروان . فأخذتْ فى أُهْبَة الرَّحيل. فلما نَفَرتْ نفرتُ. فَبَصُرَتْ فى طريقها بقِبَاب ومَضارب وهيئة جميلة ، فقيل لها : هذا عمر بن أبى رَبيعة . فساءها أمْرُه وقالت للعجُوز التى كانت تُرسلها إليه :

(١) التور : إناء صغير .
(٢) الخلوق : نوع من الطيب .
(٣) الردن : الكم .

قولى : نَشَدْتُك اللهَ والرَّحمَ أن[1] تَصْحَبنى، ويحك! وما شأنُك؟وما الذى تُريد ! أنصرف ولا تَفْضَحنى وتُشِيطَ[2] بدَمك . فصارت إليه العجوزُ فأدَّت إليه ما قالت لها فاطمةُ . فقال : لستُ بمُنْصَرفٍ أو تُوجِّهَ إلىّ بقميصها الذى يَلى جِلْدَها . فأخبرتْها . ففعلتْ، ووجَّهت إليه بقَميص من ثيابها . فزاده ذلك شَغَفاً ، ولم يَزَلْ يَتْبعهم ولا يُخالطهم، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دِمَشْق أنصرف. وقال فى ذلك :

ضاق الغَداةَ بحاجَتى صَدْرِى ... ويَئِستُ بعد تَقَارُب الأمْرِ
وذكرتُ فاطِمَةَ الَّتى عُلِّقْتُهـا ... عَرَضـاً فَيا لَحِوَادثِ الدَّهْرِ

يقول فيها :

وكأَنَّ فاها بعـد ما رَقَدَتْ ... تَجْرِى عليـه سُـلافَةُ الخَمْر

ومنها :

وبِجيـد آدَمَ شـادِنٍ خَرِقٍ ... يَرْعَى الرِّياضَ بَبَلْدَةٍ[3] قَمْر
لمّـا رأيتُ مَطِيَّهم[4] حِزَقاً ... خَفَقَ الفؤادُ وكنتُ ذا صَبْر
وتبـادرتْ عينـاى بعـدهمُ ... وأنهلّ مَدْمَعُها على الصَّـدْر
ولقـد عَصيتُ ذوى أقاربها ... طُرًّا وأهلَ الوُدِّ والصِّهْر
حتَّى لقـد قالُوا وما كَذَبُوا ... أجُنِنْتَ أمْ بِك داخلُ السِّحْر

وذُكر أنه لمـا قدمتْ فاطمةُ بنت عبد الملك بن مَرْوان مكةَ جعـل عمرُ بن أبى رَبيعة يدُور حولَها و يقول فيها الشعر ولا يذكُرها باسمها ، فَرَقاً من عبد الملك

(١) أى ، ألا تصحبنى . (٢) أشاط دمه وبدمه : أهدره وعرض نفسه للقتل .
(٣) الأدمة فى الإنسان : السمرة . وفى الظباء : لون مشرب بياضا . والشادن : الظبى شب وترعرع . والخرق : الخائف المتحير . (٤) حزقاً : جماعات .

ومن الحَجّاج ، لأنه كان كتب إليه يتوعّده إن ذكرها أو عرّض باسمها . فلمّا قضت حَجَّها وارْتَحلتْ أنشأ يقول :

كِدْتُ يومَ الرَّحيل أَقْضِى حياتى ... ليتَنى مِتُّ قبلَ يوم الرَّحيلِ
لا أُطيق الكلامَ مِن شدَّةِ الَخْو ... فِ ودَمْعى يَسِيلُ كلَّ مَسِيل
ذَرَفَتْ عَيْنُها وفاضتْ دُموعى ... وكلانَا يُلْفَى (١) بلُبٍّ أَصِيل
لو خَلَتْ خُلَّتِى أَصَبْتُ نَوَالاً ... وحَدِيثًا يَشْفِى من التَّنْوِيل
ولظَلَّ الَخلْخالُ فوق الَحشَايا ... مثلَ أَثْناء حَيَّةٍ (٢) مَقْتُول
ولقد قالتِ الَحبِيبةُ لولا ... كَثْرَةُ النَّاسِ جُدْتُ بالتَّقْبيل

وله فى فاطمةَ هذه :

يا خليلىَّ شَفِّنِى الذِّكْرُ ... وحُمولُ الحىِّ قد صَدَرُوا
ضَرَبُوا خُمْرَ القِبَابِ لها ... وأُديرتْ حولها الُحجَر
سَلَكُوا شِعْبَ النِّقابِ بها ... زُمَراً تَحْتَثُّها (٣) زُمَر
وطَرَقْتُ الَحىَّ مُكْتتما ... ومَعِى عَضْبٌ به (٤) أُثُر
وأَخٌ لم أَخْشَ نَبْوته ... بنَواحِى أمرهم (٥) خَبِر
فإذا رِيمٌ على فُرُشٍ ... فى حِجَال الَخزِّ (٦) مُخْتَدِر
حَوْلَه الأَحراسُ تَرْقُبه ... نُوَّمٌ من طُول ما سهروا
شَبَهُ القَتْلَى وما قُتِلُوا ... ذاك إلّا أنّهم سَمَرُوا

(١) فى بعض أصول الأغانى . « يلق » .
(٢) أثناء الحية : مطاويها وتضاعيفها إذا تثنت .
(٣) النقاب : موضع من أعمال المدينة . وتحثها : تستعجلها .
(٤) العضب : السيف القاطع .
(٥) خبر : خبير .
(٦) الحجال : جمع حجلة ، وهى قبة تجمل بالستور .

فدعَتْ بالوَيْل ثم دَعَتْ حُـرَّةً من شأنهـا الخفَر
ثم قالت للّتى معهـا ويْحَ نَفْسِى قد أَتَى عُمَر
ما لَه قـد جاء يَطْرُقُنـا ويَرَى الأعـداء قد حَضَروا
لِشَـقَائِى كان عُلِّقنـا ولَحَيْنِى سـاقَه القَـدَر
قلتُ عِرْضِى دون عِرْضِكُمُ ولمن ناواكُمُ الحَجَـر

هو وعائشة بنت طلحة فى الطواف

وقيـل : بينا عُمرُ بن أبى ربيعـة يطوفُ البيتَ إذ رأى عائشةَ بنت طَلْحَة ابن عُبيد الله ، وكانت من أجمل أَهلِ دَهرها ، وهى تُريد الرُّكْنَ تَسْتلمُه ، فبُهِت لما رآها . ورأتْه وعلمت أنها وقعتْ فى نفسه ، فبعثتْ إليـه بجارية لها وقالت لها : قُولى له : اُتّقِ الله ولا تَقُل هُجْراً ، فإنّ هـذا مَقَامٌ لا بُدَّ فيه ممّـا رأيتَ . فقال للجارية : أَقْرِئيها السلامَ وقُولى لها : اُبنُ عمّك لا يقول إلّا خيراً ، وقال فيها :

لعائشةَ اُبْنـةِ التَّيمىّ عِنـدى حِمًى فى القَلْب ما يُرْعَى حِمَـاهَا
يُذكِّرنِى اُبنـةَ التَّيمىّ ظَبْيٌ يَرُودُ برَوْضـةٍ سَهْلٍ رُبَاها
فقلت له وكاد يُرَاعُ قَلْبى فلم أَرَ قَطُّ كاليوم اُشْـتباها
سِوَى حَمْشٍ بسـاقِكَ مُسْتَبينٍ وأنَّ شَواكَ لم يُشْـبه (١) شَواها
وأنّك عاطِلٌ عارٍ ولَيْسَتْ بعـاريةٍ ولا عُطْلٍ يَداها
وأنك غـير أَسْحَم وهى تُدْنِى على المَتْنَيْنِ أسْحَم قد (٢) نَضـاها
ولو قَعَـدتْ ولم تَـكْلَفْ بوُدِّ سِوَى ما قد كَلِفْتُ به كَفَاها
أظَلُّ إذا أُكَـلِّمُها كأنّى أُكلِّم حَيَّـةً غَلَبَتْ رُقاها
تَبِيتُ إلىّ بعـدَ النَّوم تَسْرِى وقد أَمْسَيتُ لا أخشَى سُرَاها

(١) الحمش : دقة الساقين . والشوى : الأطراف .
(٢) الأسحم : الأسود ، يريد الشعر . ونضاها ، أى كساها .

وقال فيها أشعاراً كثيرةً ، فبلغ ذلك فتيانَ تَيْم ، أَبلغهم إياه فتًى منهم وقال لهم : يا بَنى تَيْم ، هاللهِ لَيَقْذِفَنَّ بنو مخزوم بنَاتِنـا بالعَظائم وتَغْفُلون ! فَمشَى ولدُ أبى بكر الصدِّيق وولدُ طلحة بن عُبيـد الله رضى الله عنهم إلى عُمر بن أبى ربيعة وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم : والله لا أذكرها فى شعرٍ أبدا . ثم قال بعـد ذلك فيها ، وكنّى عن اسمها ، فى قصيدته التى أوّلها :

يا أُمَّ طَلْحة إنَّ البَيْنَ قد أَفِدَا قَلَّ الثَّواء لئن كان الرَّحيلُ غدَا[1]

وقيل: لم يزل عُمر يُشَبِّب بعائشة هذه أيامَ الحجّ ، ويطُوف حَولها ويتعرّض لها ، وهى تكره أنْ يَرى وجهَها ، حتى وافقَها وهى ترمى الجمارَ سافِرةً ، فنظر إليها . فقالت : أما والله لقد كنتُ لهذا منك كارهةً يا فاسقُ ! فقال :

إنّى وأوّلَ ما كلفتُ بذكْرهـا عَجَبٌ وهل فى الدَّهر من مُتعجَّبِ
نعَتَ النِّساء فقلتُ لستُ بمُبْصرٍ شَبَهًا لهـا أبداً ولا بمُقـرَّب
فمكَثْن حِيناً ثم قُلْنَ توجّهتْ للحجِّ موعِدُها لِقَاء[2] الأخْشب
أَقْبلتُ أَنْظُر ما زَعَمن وقُلْن لى والقلبُ بيْن مُصدِّق ومُكذِّب
فلَقيتُها تَمْشى تَهـادَى مَوْهِنـاً تَرْمِى الجِمارَ عَشِيَّةً فى مَوْكب
غَرَّاء يُعْشِى النّاظرين بياضُها حَوْراء فى غُلَواء عَيْش[3] مُعْجِب
إنّ التى من أرْضهـا وسمائهـا جُلِبتْ لِحَيْنك ليتهـا لم تُجْلَب

وقيل : إنّه لَقِيها بمكة وهى تَسير على بغلة لها ، فقال لها : قِفى حتى أُسمِعَك ما قلتُ فيك . قالت : يا فاسق ! أوَ قد فعلتَ ؟ قال: نعم . فوقفتْ . فأنشدها :

(١) أفد : دنا وأسرع .
(٢) الأخشب : واحد الأخشبين ، وهما جبلان بمكة .
(٣) غلواء عيش : أنضره وأرغده .

يا رَبَّةَ البَغْلةِ الشَّهْبَاء هـل لك فى أن تُنْشرى مَيِّتاً لا تُرْهِقِى (١) حَرَجَا
قالتْ بدائك مُتْ أو عِشْ تُعالجه فما نَرَى لك فيما عندنا فَرَجا
قد كُنتَ حَمَّلْتنا غَيْظاً نُعالجه فإن تُقِدْنا فقد عَنَّيتَنا (٢) حِجَجا
حتى لو اُسْطِيعُ مما قد فعلتَ بنا أكلتُ لحمَك من غَيْظٍ وما نَضِجا

فقالت: لا وربّ الكعبة، هذه البَنِيّة! ما عَنيتَنا طَرْفة عَيْن قطُّ. ثم قالت لبغلتها: عَدَسْ! (٣) وسارت.

ثم لم تزل عائشة تُداريه وترفُق به خَوفاً من أن يتعرَّض لها، حتى قضت حِجَّتها وانصرفت إلى المدينة. فقال فى ذلك:

إنّ من تَهوَى مع الفَجر ظَعَنْ للْهَوى والقَلْبُ مِتباعُ الوَطَنْ
بانت الشَّمسُ وكانت كلّما ذُكِرتْ للقَلْب عاودتُ الحزَن
يا أبا الحارث قَلْبى طائر فَأْتَمِر أمرَ رَشيدٍ مُؤْتَمِن
نظَرت عَيْنى إليها نَظْرةً تركت قَلْبى لديها مُرتَهِن
لَيْس حُبٌّ فوق ما أحببْتُها غير أن أَقْتُل نَفْسى أو أُجَنّ

وقال فيها:

مَن لقَلْبٍ أَمسَى حزيناً مُعنًّى مُستكينا قد شَفَّه ما أَجَنَّا
إثْرَ شَخْصٍ نَفسى فَدَتْ ذاك شَخْصاً نازِح الدار بالمدينة عَنَّا
ليت حظِّى كَطَرْفة العَيْن منها وكثيرٌ منها القليلُ المُهَنا

هو وكلثم المخزومية

وذُكر أنّ عُمر بن أبى ربيعة كان يَهْوى كُلْثَم بنتَ سعدٍ المخزوميّة،

(١) لا ترهق حرجاً، أى لا تحمليه حرجاً ولا تكلفيه أكثر مما هو به.
(٢) فإن تقدنا، أى فإن ترد القصاص منا على هذا الهجر، فقد عنيتنا وجشمتنا أعواماً طوالا.
(٣) عدس: كلمة تزجر بها البغال.

فأرسل إليها رسولا.[1] فضربتْها وحلقَتْها وأَحْلقَتْها[2] ألاّ تُعاود. ثم أعادها ثانيةً. ففعلتْ بها مثلَ ذلك. فتَحاماها رسُلُه. فأُبتاع أَمَةً سوداء لطيفةً رقيقةً، فأتى بها منزلَه وأَحسن إليها وكساها وآنَسها وعرَّفها خَبره، وقال لها: إنْ أَوصلتِ لى رُقعةً إلى كَلْثم فقرأتْها فأنْت حُرّةٌ، ولك معيشتُك ما بَقيت. فقالت: اكتُب حاجتك فى آخرها. ففعل، وأخذتْها ومَضت بها إلى باب كَلْثم، فاستأذنت. فخرجت إليها أَمةٌ لها، فسألتْها عن أَمرها فقالت: مكاتَبةٌ[3] لبعض أهل مَوْلاتك، جئتُ أَستَعينها فى مُكاتَبتى. وحادثتْها وناشدتْها حتى ملأتْ قلبها. فدخلتْ إلى كلْثم وقالت: بالباب مُكاتَبةٌ لم أر قطُّ أجمَل منها ولا أكمل ولا آدب. فقالت: أَأْذنى لها. فدخلت، فقالتْ: مَن كاتَبك؟ قالت: عُمر بن أبى ربيعة الفاسقُ! فاقرئى مُكاتبتى. فمدّت يَدها لتأخذها. فقالت: لى عليك عَهدَ [الله] أن تقْرئيها، فإن كان منك إلىّ شىء مما أُحبّه، وإلّا لم يَلْحقنى منك مكروه. فقالت: هاتى، وفَطِنت. فأعطتْها الكتابَ، وإذا أوّلُه:

مِنْ عاشقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الهَوى ... قد شَفَّه الوَجْدُ إلى كَلْثمِ
رأتْكِ عَينى فدعانى الهوى ... إليكِ للحَيْن ولم أعْلَمِ
قَتَلْتنا يا حبّذا أنتمُ ... فى غَيْرِ ما جُرْمٍ ولا مَأْثَمِ
واللهُ قد أنزل فى وَحْيه ... مُبَيِّنا فى آيةِ المُحْكَمِ
مَن يقتُلِ النَّفْس كذا ظالماً ... ولم يُقِدْها نفسَه يَظْلِمِ
وأنتِ ثَأْرِى فتَلافَىْ دَمِى ... ثم اجْعليه نِعْمةً تُنْعِمى
وحَكِّمى عَدْلاً يكُنْ بيننا ... وأنتِ فيما بيننا فاحْكُمى
وجالِسينى مَجْلساً واحداً ... من غَيرِ ما عارٍ ولا مَحْرَمِ

(١) الرسول: يجوز استعماله للمذكر والمؤنث، والمثنى والجمع. (٢) حلقتها. أى أوجعت حلقها.
(٣) مكاتبة، أى قد كاتبها سيدها على مال تؤديه إليه منجماً، فاذا أدته صارت حرة.

وخَبِّرينى ما الذى عندكُم بالله فى قَتْلِ امرئٍ مُسْلِم

قال : فلمّا قرأت الشعرَ قالت لها : إنّه خَدّاع مَلِقٌ ، وليس لما شكاه أصْل . قالت : يا مولاتى ، ما عليك من امتحانه ؟ قالت : قد أذنتُ له ، وما زال حتى ظَفِر ببغْيته ، فقولى له : إذا كان المساء فَلْيجلس فى موضع كذا وكذا حتى يأتىَ رسولى . فانصرفتْ الجارية فأخبرتْه . فتأهّب لها . فلما جاءها وجدها قد تهيّأت أجملَ هَيْئة، وزيّنت نَفْسَها ومَجْلِسها، وجلستْ له من وراء سِتْر . فسلّم وجلس . وتركتْه حتى سكن ، ثم قالت له : أخبرنى عنك يا فاسق ! أأنت القائل :

هلا ارْعَويتِ[1] فتَرْحَمِى صَبًّا صَدْيَانَ لم تَدعى له قَلْبَا
جَشِمَ الزيارةَ فى مَوَدّتكم وأراد ألّا تُرْهِقى ذَنْبا
ورَجا مُصالحةً فكان[2] لكم سَلْماً وكنتِ تَرينَه حَربا
يأيّها المُعْطِى مودّته مَنْ لا يزال مُساميًا[3] خِطْبَا
لا تجعلَنْ أحداً عليك إذا أحببتَه وهَوِيتَه رَبّا
وَصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفتَ به واطْوِ الزِّيارَةَ دونه غِبّا
فَلَذاك أحسنُ من مُواظبة ليست تَزيدُك عنده قُربا
لا بَل يَمَلُّك ثم تدعو باسْمه فيقول : هاهِ وطالما[4] لَبّى

فقال لها : جُعلتُ فداك ! إنّ القَلْبَ إذا هَوِى نَطق اللسانُ بما يَهْوى . فمكث عندها شهراً لا يدرى أهلُه أين هو، ثم استأذنها فى الخروج . فقالت له : بعد أن فَضحتنى؛ لا والله لا تخرج إلاّ بعد أن تتزوّجنى. ففعل وتزوّجها . فولدت منه ابنين ، أحدُهما : جُوان ، وماتت عنده .

---

(١) فى الأصل : « استحيت » . وما أثبتنا من الديوان .
(٢) فى الأصل : « فردكم » . مكان « فكان لكم » وما أثبتنا من الديوان .
(٣) الخطب : الخاطب . (٤) هاه : كلمة وعيد ، حركت لضرورة الشعر .

هو ولبابة امرأة الوليد بن عتبة فى الطواف

وذُكر أنّ عُمر بن أبى ربيعة رأى لُبابَةَ بنت عبد الله بن العبَّاس، زوجةَ الوليد بن عُتبة بن أبى سُفيان، تطُوف بالبيت، فرأى أحسنَ خَلْق الله، فكاد عَقْلُه يذهب، وسأل عنها فأُخبر بنَسبها، فشبَّب بها وقال فيها:

ودِّعْ لُبابةَ قبل أن تترحَّلا ... وأسأل فإنّ قُلاَلَه[1] أن تسألاَ
إلبَثْ بعَمْرِك ساعةً وتأنَّها ... فلعلَّ ما بَخِلَتْ به أن يُبْذَلا
قال ائْتمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخالَفٍ ... فيما هَوِيتَ فإننا لن نَعْجَلا
لَسْنا نُبالى حين نَقْضى حاجةً ... ما باتَ أو ظلَّ المَطِىّ مُعَقَّلا
حتى إذا ما الليلُ جَنَّ ظَلاَمُه ... ونظرتَ غَفلةَ حارسٍ أن يَغْفُلا
خرجتْ تأطَّرُ فى الثِّياب كأنها ... أَيْمٌ يَسِيب على كَثِيب[2] أَهْيَلا
رحَّبْتُ حين رأيتُها فتبسَّمت ... لتحيَّتى لمّا رأتْنى مُقْبِلا
وجَلا القِناعُ سَحابةً مَشْهورةً ... غرّاءَ تُعْشِى الطَّرْفَ أن يتأمَّلا
فلبثتُ أَرْقِيها بما لو عاقِلٌ[3] ... يُرْقَى به ما اسْطاع ألّا يَنْزِلا

أبياته التى فيها الغناء

وأبياتُ عُمر بن أبى رَبيعة التى فيها الغِناء، وذَكر أبو الفرج بعدها أخبارَ عمر، هى:

تَشكَّى الكُميتُ الجَرْىَ لمّا جَهَدتُه ... وبَيَّنَ لو يَسْطيع أن يتكلَّمَا
لذلك أُدْنِى دون خَيْلى مكانَه ... وأُوصِى به ألّا يُهانَ ويُكْرما
فقلتُ له إنْ أَلْقَ للعين قُرَّةً ... فهانَ علىَّ أن تَكِلَّ وتَسْأَما
عَدِمْتُ إذاً وَفْرِى وفارقتُ مُهْجتى ... لئن لم أَقِلْ قَرَناً[4] إنِ اللهُ سلَّما

(١) قلاله: قليله.
(٢) تأطر، أى تتأطر، بمعنى تتثنى. والأيم: الحية. ويسيب: يمضى فى خفة. والكثيب: الرمل اجتمع واحدودب.
(٣) العاقل: الممتنع فى الجبل.
(٤) الوفر: الكثير الواسع من المال والمتاع. ولم أقل: من القيلولة. وقرناً: يريد قرنه المنازل، وهو مكان. أى: لئن لم أقل فيه.

شىء عن العبلات

وهذه الأبياتُ يقولها عُمر فى الثريّا بنت علىّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميَّة الأصغر بن عبد شَمس بن عبد مَنَاف ، وهُم الذين يقال لهم العَبَلات ، سُمُّوا بذلك لجدَّةٍ لهم يقال لها : عَبْلَة بنت عُبيد بن خالد بن خازِل — وقيل خاذل ، بالذال — ابن قَيْس بن مالك بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تَميم ، وهى من بَطنٍ من تَميم يقال لهم : البَراجم .

قيل : كانت عَبْلة هذه عند رجل من بنى جُشَم بن معاوية ، فبَعثها بأَنْحاء[1] سَمْن تَبيعُها له بعُكاظ . فباعت السَّمن وراحلتَيْن كان عليهما . وشَربت بثمنها الخَمرَ . فلما نَفِدَ ثمنُها رَهنت ابن أخيه وهَربت . فطلَّقها زوجُها .

وقالت فى شُربها الخَمْر :

شَربتُ براحلتَىْ مِحْجنٍ ... فياويْلتِى مِحجنٌ قاتلِى
وبابنِ أخيه على لَذَّةٍ ... ولم أَحتفلْ عَذَلَ العاذِل

فتزوّجها عبدُ شَمس بن عبد مناف ، فولدتْ له أُمية الأَصغر ، وعبدَ أُميّة ، ونَوفلاً ، وهم العَبَلات .

عمر والثريا

قيل : كان عمر بن أبى ربيعة مُسْهَباً[2] بالثُّريا بنتِ علىّ الأَمويّة هذه ، وكانت عُرضةَ ذلك جَمالاً وتَماماً[3] ، وكانت تَصيف بالطائف ، وكان عُمر يَغْدو عليها كلَّ غداةٍ ، إذا كانت بالطائف ، على فَرسه ، فيُسائل الرُّكْبان الذين يَحْملون الفاكهةَ من الطَّائف عن الأَخبار قِبَلهم . فلَقِىَ يوماً بعضَهم فسأله عن أخبارهم . فقال : ما استطْرَفْنا خَبراً[4] ، إلاّ أنّى سمعتُ عند رَحيلنا صوتاً وصياحاً عالياً على امرأة من قُريش ، اسمُها أسم نَجم فى السماء ، وقد سَقط عنّى اسمُه . فقال عمر : الثُّريا ؟

(١) الانحاء : جمع نحى ، وهو الزق ، وما كان للسمن خاصة .
(٢) المسهب : من أسقمه الحب وأذهب عقله .
(٣) أى أهلا لأن يشغف بها لجمالها وتمامها .
(٤) أى لم نقع على طريف نحدثك به .

قال : نعم . وقد كان بلغ عُمرَ قبل ذلك أنها عَليلة ، فوجَّه فَرسَه على وَجْهه إلى الطَّائف ، يركُضُه مِلْءَ فُرُوجه[1] ، وسلَك طريق كَدَاء[2] ، وهو أَخْشن الطُّرق وأقربُها ، حتى انتهى إلى الثُّريّا ، وقد تَوقعتْه ، وهى تتشوَّف له وتتشوّق. فوجدها سليمةً ومعها أُختاها : رُضَيًّا وأمُّ عُثمان ، فأَخبرها الخبَر . فضحكت وقالتْ : أنا والله أمرتُهم لأَختبر مالى فى نفسك . فقال عمر فى ذلك :

تشكّى الكُميتُ الجَرْىَ لما جهدُته ... وبَيَّنَ لو يَسْطيع أن يَتكلَّما

الأبيات المذكورة .

وقال مَسلمة بن إبراهيم : قلت لأيُّوب بن مَسْلمة : أكانت الثُّريا كما يصف عمر بن أبى رَبيعة ؟ فقال : وفوق الصِّفة ، كانت والله كما قال عبدُ الله بن قَيْس :

حبَّذا الحجُّ والثُّريَّا ومَنْ بالْـ ... ـخَيْف من أهلها ومُلْقَى الرِّحالِ
يا سليمانُ إنْ تُلاقِ الثُّريّا ... تَلْقَ عَيْشَ الخُلود قَبْلَ[3] الهِلَال
دُرَّة من عَقائل البَحْر بِكْرٌ ... لم تَشِنْها مَثاقِبُ اللَّآل
تَعْقِدُ المِئْزَرَ السُّخَامَ من الخَـ ... ـزِّ على حَقْوِ بادِنٍ[4] مِكْسال

هو وجارية من بنى جمح

وذُكر أنّ رجلاً من بنى جُمَح وُلدتْ له بِنْت ، فكانت جاريةً لم يولد مثلُها بالحجاز حُسناً . فقال أبوها : كأَنِّى بها وقد كَبِرَتْ فَنَسب بها عمرُ بن أبى ربيعة وفَضَحها ونوَّه باسمها ، كما فَعل بِنساء قُريش ، والله لا أقمتُ بمكّة . فباع ضَيْعَةً له بالطَّائف ومكة ورحل بابنته إلى البصرة وأقام بها ، واُبتاع هُناك ضيعةً . ونشأتْ ابنتُه من أجملِ نِساء أهل زمانها . ومات أبوها فلم تر أحداً من بنى جُمح حَضر

(١) الفروج : ما بين قوائم الفرس . كناية عن شدة العدو .
(٢) كداء : جبل بأعلى مكة .
(٣) يريد بالهلال : الدفعة من المطر : أى إن تلق الثريا يخصب عيشك قبل أوان الخصب .
(٤) السخام : اللين . والحقو : معقد الإزار .

جِنازَته، ولا وجدتْ لها مُسْعِداً ولا عليها داخلاً . فقالت لدايةٍ[1] لها سوداء : مَنْ نحن ؟ ومِن أىِّ البلاد نحن ؟ فخبَّرتْها . فقالت : لا جَرم ، والله لا أقمتُ فى هـذا البلد الذى أنا فيه غريبـة . فباعت الضَّيعة والدارَ وخرجت فى أيَّام الحج . وكان عُمر يقْدَم فيَعْتمر فى ذى القَعْدة ويُحِلُّ، ويَلْبس الحُلل والوَشْى، ويركب النَّجائب المَخْضُوبة بالحِنّاء ، عليها القُطُوع[2] والدِّيباج ، ويُسبل لِمَّته . ويَتلقَّى العِراقيَّات فيما بينه وبين ذات عِرْق مُحْرِمات ، ويتلقَّى المَدنيَّات [إلى مَرٍّ]، ويتلقَّى الشاميَّات إلى الـكَديد . فخرَج يوماً للعراقيَّات، فإذا قُبةٌ مكشوفة فيها جاريةٌ كأنها القَمر، تُعادلُها جاريةٌ سوداء كالسَّبَجة[3]. فقال للسَّوداء : من أين أنت يا خالة ؟ فقالت : أطال الله تَعَبك ، إن كنتَ تسأل هذا العالَمَ من هم ومِنْ أين هُم !قال : فأَخْبِرينى عسى أن يكون لذلك شأن . قالت : نحن من أهل العِراق ، فأمَّا الأصـل والمَنْشأ فمـكّة ، وقد رَجعنا إلى الأصل ودخلنا إلى بلدنا . فضحك . فلما نظرت إلى سَواد ثَنِيَّتَيْه قالت : قد عرفناك . قال : ومن أنا ؟ قالت : عُمر بن أبى ربيعـة . قال : وبمـا عرفتِنى ؟ قالت : بسَواد ثَنيَّتيك وبهَيئتـك التى ليست إلا لقُريش . فأنشأ يقول :

أصبح القلبُ فى الحِبَـالِ رَهِينَا ... مُقْصَـداً يومَ فارقَ الظاعِنِينَـا
قلتُ من أنتمُ فصـدَّت وقالت ... أُمبِـدٌّ سُؤَالَك[4] العـالَمِينا
نَحن من سـاكِنى العراق وكُنَّا ... قَبلَه قاطِنين مكـةَ حِينا
قد صَدَقْناك إذ سـألت فمن أنْـ ... ـتَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُئونا
ونَرى أنّنـا عَرَفْنـاك بالنَّعْـ ... ـت بظَنٍّ وما قَتَلْنـا يَقِينـا

(١) الداية : المرضع ، وقد تلازم الطفلة حتى تشب .
(٢) هى ما يجعلها الراكب تحته . (٣) السبجة : الخرزة السوداء .
(٤) أمبد : أى أمقسم سؤالك على الناس واحداً واحداً حتى تعمهم .

بسَوادِ الثّنِيّتَيْن ونَعْتٍ قد نَراه لناظِرٍ مُسْتَبِينا

فلم يزل عُمَر بها حتى تزَوَّجها . فولدتْ له .

هو ورملة الخزاعية

وقد قِيل: إنّ عُمر قال هذا الشعر فى رَمْلة بنت عبد الله بن خَلَف الخُزاعيّة، أخت طلحة الطَّلَحات، لما حجَّت إلى مكة . وكانت رَمْلة هذه جَهْمةَ الوجه عظيمة الأنف حَسَنَةَ الجسم . فتزوّجها عُمر بن عُبيد الله بن مَعْمر التَّيمى ، وتزوَّج عائشةَ بنت طَلحة بن عُبيد الله، وجمع بينهما . فقال يوماً لعائشة : فعلتُ فى مُحاربة الخوارج مع أبى فُدَيك كذا ، وصنعتُ كذا، يذكُر لها شجاعَته و إقدامَه . فقالت له عائشة : أنا أعلم أنك أشجع الناس ! وأعرفك يوماً هو أعظم من هذا اليوم الذى ذكرتَه . قال : وما هو ؟ قالت : يوم أُجْتليتَ رَمْلَة وأقدمتَ على وجهها وأَنفها .

وقال عمر بن أبى ربيعة فى رَمْلة :

قُم تأمَّل وأنت أبْصرُ منّى هل تَرى بالغَمِيم [1] من أَجْمالِ
قاضِياتٍ لُبانَةً من مُناخٍ وطَوافٍ ومَوْقفٍ [2] بالخَيال

ومنها :

فسقى الله مُنْتَوى أُمِّ عمرٍو حيثُ أُمَّت بها صُدورُ الرِّحال
حبَّذا هُنَّ من لُبانةِ قَلْبى وجَديدُ الشَّباب من سِرْبالى
رُبَّ يومٍ أتيتُهنّ جميعاً عندَ بيضاء رخْصةٍ مِكْسال
غَيْرَ أنّى امرؤٌ تعمّمتُ حِلْماً يَكْره الجهلَ والصِّبا أمثالى

أم نوفل والثريا فى شعر له

وذُكر أن أُمَّ نوفل، وهى أُم ولد [عبد الله بن الحارث] أبى الثُّريّا ، أنشدت الثُّريا قول عُمر بن أبى ربيعة :

أصبح القلبُ فى الحِبال رهينا مُقْصَداً يوم فارق الظَّاعِنينَا

فقالت : إنّه لوَقاحٌ صَنِعٌ [3] بلسانه ، ولئن سَلِمتُ له لأردّنّ من شأوه ، ولأثْنينّ من عِنانه . ولأُعرِّفنّه نفسه . فلما بلغتْ إلى قوله :

(١) الغميم : موضع قرب المدينة . (٢) الخيال : أرض لبنى تغلب . (٣) الصنع : الحاذق .

نحن من ساكنى العراق وكُنَّا قبلَه ساكنينَ مكةَ حِينا

قالت : عَمزتْه الجَهْمةُ . فلما بلغت إلى قوله :

قد صَدَقْناك إذ سألت فمن أنـ ـت عَسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونا

قالت : رَمَتْه الوَرْهاء [1] بآخِر ما عندها فى حال واحدة ، وهجرتْ عُمر.

الثريا وقد بلغها شعر له فى رملة

وقيل : إنّه لما بلغ الثريّا قولُه :

وجَلَا بُرْدُهـا وقد حَسَرتْه نُورَ بَدْرٍ يُضىء للنّاظرينا

قالت : أُفٍّ له ! ما أكذَبه ! لن ترتفع حسناء بصفته لها بعدَ رَمْلة .

ابن أبى عتيق بين الثريا وعمر

قيل: لما صَرمتْ الثُّريا عمرَ بن أبى ربيعة ، قال فيها :

مَنْ رسولى إلى الثُّريا فإنّى ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكتابِ
سَلَبتْنى مجّاجةُ المِسْك [2] عَقْلى فَسَلُوها ماذا أحَلَّ اغتصابى
وهى مَكنونةٌ تحَيَّر منها فِى أَدِيم الخدَّيْن ماء الشَّباب
أَبرزُوها مِثْلَ المَهاةِ تهَادَى بين خَمْسٍ كَواعبٍ أتراب
ثم قالوا تُحبُّها قلتُ [3] بَهْراً عَـدَدَ القَطْرِ والحَصى والتراب

ولما بلغ ابنَ أبى عَتيق قولُه :

مَنْ رسولى إلى الثُّريّا فإنى ضِقتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكتابِ

قال : إيّاى أراد، وبى نَوّه ، لا جَرَمَ، والله لا أذُوقُ أكْلاً [4] حتى أشْخَص فأُصْلِح بينهما . قال بلال، مولى ابن أبى عَتيق : فنَهَض ونَهضتُ معه ، فجاء إلى قوم من بَنى الدِّيل بن بَكْر ، لم تكن تُفارقهم نَجائب لهم فُرْهٌ [5] يُكْرُونها ،

(١) الورهاء : الحمقاء . (٢) مجاجة : أى إن ريقها طيب كالمسك .
(٣) بهراً : جمًّا . وقيل: عجباً .
(٤) الأكل : ما يؤكل .
(٥) فره : من جموع فاره ، وهى الدابة النشيطة القوية .

فاكْترى منهم راحلتين وأغْلى لهم . فقلت له : أستَوْضِعْهم، أو دَعْنى أُماكِسْهم فقد اشتطُّوا عليك . فقال : ويحك ! أما علمتَ أن المِكاس ليس من أخلاق الكِرام! ثم ركب إحداهما وركبتُ الأُخرى، فسار سَيراً شديداً . فقلتُ : أَبْقِ على نفسك، فإنّ ما تُريد لا يفُوتك . فقال : ويحك !

* أُبادرُ حَبْل الوُدِّ أنْ يَتَقَضّبا *

وما حَلاوة الدُّنيا إنْ تَمَّ الصَّدْعُ بين عمر وبَيْن الثريّا.

فقَدِمْنا مكة ليلاً غير مُحْرِمين. فدقّ على عُمرَ بابَه. فخرج إليه وسلّم عليه، ولم ينزل عن راحلته . فقال له : اركب أُصلح بينك و بين الثريا ، فإنّى رسولُك الذى سألتَ عنه . فركب معه ، وقَدِمْنا الطائف . وقد كان عُمر رَاضَى أُمَّ نَوْفل ، فكانت تَطْلُب له الحيلةَ لإصلاحها ولا يُمكنها. فقال ابنُ أبى عَتيق للثريّا : هذا عمر قد جَشَّمنى السَّفر من المدينة إليك ، فجئتُك به مُعْترفاً لك بذنب لم يَجْنه، مُعْتذراً إليك من إساءته إليك ، فَدَعِينى من التَّعداد والتَّرداد ، فإنّه من الشُّعراء الذين يقولون ما لا يفعلون . فصالحتْه أحسنَ صُلح وأتَمّه وأجمَلَه . وكَرَرْنا إلى مكة [1] ، فلم ينزلها ابنُ أبى عتيق حتى رَحل . وزاد عُمر فى أبياته :

أزهقَتْ أُمُّ نَوْفل إذ دَعَتْها مُهْجَتى ما لقاتِلى من [2] مَتاب

حين قالتْ لها أَجيبى فقالت مَن دَعانى قالت أبو الخطّاب

فاُستجابتْ عند الدُّعاء كما لَبَّى رجالٌ يَرْجُون حُسْن الثَّواب

(١) فى الأصل : « المدينة » .

(٢) أزهقت : أبطلت وأذهبت . يريد: أذهبت أم نوفل نفسى إذ دعت الثريا لوصالى فلم تجبها .

وسُئل عُمر عن قوله :

« . . . كما لبّى رجال يرجون حسن الثواب »

قال : كرّرتْ فى التَّلْبية كما يفعل المحُرم ، فقالت : لبّيك ! لبّيك !

وقيل : كانت الثريا تَصُب عليها جَرَّة ماء وهى قائمة، ولا يُصيب ظاهر فَخذيها منه شىء ، من عِظَم عَجيزتها .

وابنُ أبى عَتيق، هو عبد الله[بن محمد] بن عبدالرحمن بن أبى بكر الصِّدِّيق، رضى الله عنه .

وقد ذُكر أنّ عمر بن أبى ربيعة قَدِم المدينة فنزل على ابن أبى عَتيق ، فلمّا استلقى قال : أوّه ! وأنشد :

مَن رسُولى إلى الثُريّا فإنّى ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكِتاب

فقال ابن أبى عَتيق : كل مملوك لى حُرّ إن بَلّغها ذلك غيرى . فخرج حتى إذا كان بالمصلّى مَرّ بنُصَيب وهو واقف ، فقال : يا أبا مِحْجن . قال : لَبَّيْك ! قال : أتُودع إلى سَلْمى شيئاً ؟ قال : نعم . قال : وما ذاك ؟ قال : تقُول لها يا بن الصدّيق : إنك مَرَرْتَ بى فقلتَ لى : أتودع إليها شيئاً ؟ فقلت :

أتَصْبر عن سَلْمى وأنتَ صَبُورُ وأنت بحُسْن العَزْم منك جَدِيرُ
وكِدْتُ ولم أُخْلَق من الطَّيْر إن بدا سَنا بارِقٍ نحو الحِجاز أطِير

قال : فمرّ بسَلْمى وهى بقَرية يقال لها « القَسْرية » فأبلغها الرسالَة ، فزفَرت زَفرة كادت تُفَرِّق بين أضلاعها . فقال ابنُ أبى عَتيق : كلّ مملوك لى حُرّ إن لم يكن جوابُكِ أحسنَ من رسالته ، ولو سَمِعك الآن لنَعَق وصار غُراباً . ثم صار إلى الثريّا وأبلغ الكتاب . فقالت له : أما وجَدرسولاً أَصْغَر منك! أنزل فأرِحْ . فقال : لستُ إذنْ برسول . وسألها أن تَرْضى عنه . ففعلت .

غناء ابن عائشة فى مجلس الحسن بشعر عمر

وقيل : اجتمع ابن عائشة، ويونُس، ومالك، عند الحسن بن الحسن بن علىّ ابن أبى طالب عليهم السلام . فقال الحسنُ لابنِ عائشة : غنّنى: «مَن رسُولى إلى الثريا » . فسكت عنه فلم يُجبه . فقال له الحسن : مالَكَ ! وَيْحك ! أبِك خَبَال ؟ كان والله ابنُ أبى عَتيق أجودَ منك بما عنده، فإنه لما سمع هذا الشعر قال لابن أبى ربيعة : أنا رسولُك إليها . فمضى نحو الثريّا حتى أدّى رسالَته، وأنت معنا فى المجلس تَبخل أن تُغنّيه لنا ! فقال له : لم أذهب حيث ظَننتَ ، إنما كنتُ أتخيّر أىَّ الصوّتين أُغنّى ، أقولَه :

مَن رسولِى إلى الثريّا فإنى ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرها والكتابِ

أم قوله :

مَن رسولى إلى الثريّا فإنى ضاقنى الهمُّ واعترتْنى الغُمومُ
يَعلم الله أنّنى مُستهامٌ بهواكم وأنّنى مَرْحُوم

فقال الحسن : أسأنا بك الظنّ أبا جعفر ، غَنِّ بهما جميعاً . فغنّاهما . فقال له الحسنُ : لولا أنكَ تغضب إذا قلنا : أحسنتَ ! لقلنا لك : أحسنت والله ! قال : فلم يَزل يردِّدها بقيَّةَ يومه .

زواج الثريا وشعر عمر

قيل : وتزوّج سُهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريّا . وقيل : بل تزوّجها سُهيل بن عبد الرحمن بن عَوف . ورجّح أبو الفرج الأول . وفى ذلك يقول عمر :

أيها المُنكِحُ الثّريَّا سُهَيلاً عَمْرَكَ اللهَ كيف يَلْتقيانِ
هى شاميةٌ إذا ما اُستقلّت[1] وسُهَيلٌ إذا استقلَّ يَمانِى

وأول هذه القصيدة :

أيها الطّارقُ الذى قد عَنانِى بعد ما نامَ سامرُ الرُّكْبانِ
زار من نازحٍ بغير دَليل يَتخطّى إلىَّ حتى أتانى

(١) استقلت : ارتفعت .

وقيل : إنه كتب إليها بعد أن تزوّجت :

كتبتُ إليكِ من بلدِى كتابَ مُوَلَّهٍ كَمِدِ
كَئيبٍ واكفِ العَيْنيـــن بالحسَراتِ مُنْفرد
يؤرِّقه لهيبُ الشّو قِ بين السَّحْر والكَبِد
فيُمْسك قَلْبَه بيدٍ ويَمْسح عينه بيَد

وكتبه فى قُوهيّة[1] وشنّفه[2] وحَسَّنه وبعث به إليها . فلمّا قرأته بكت بُكاءً شديداً ، ثم تمثّلت :

بنَفْسِىَ مَن لا يستقلُّ بنَفْسه ومَن هو إن لم يَحْفظ اللهُ ضائعُ

وكتبتْ إليه :

أتانى كتابٌ لم يَرَ النَّاسُ مثلَه أُمِدَّ بكافُورٍ ومِسْك وعَنْبَرِ
وقِرْطاسُه قُوهيّةٌ ورِباطُه بعقْد من الياقوت صافٍ وجَوْهر
وفى صَدْره مِنِّى إليك تحيَّةٌ لقد طالَ تَهْيامى بكم وتذكُّرى
وعُنوانه من مُسْتهامٍ فؤادُه إلى هائمٍ صَبٍّ من الحُزن مُسْعَر

عبد الملك والثريا بعد موت سهيل

وقيل : ثم تُوفى عنها سُهيل أو طلّقها : فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وهو خليفة بدمشق ، فى دَيْن عليها . فبينا هى عند أُمّ البَنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان ، إذ دخل عليها الوليدُ ، فقال : مَن هذه ؟ قالت : الثريّا ، جاءتنى أَطْلُب إليك قضاءَ دَيْن عليها وحوائج لها . فأقبل عليها الوليدُ فقال : أَتَرْوين من شعر عُمر شيئاً ؟ فقالت : نعم ، أمَا إنه يَرحمه الله كان عفيفاً ، عفيفَ الشعر ، أَرْوى قولَه :

ما عَلَى الرَّسم بالبُلَيَّيْن لو بيَّـــن رَجْعَ السَّلام أو لو أَجابَا
فإلى قَصْرِ ذى العُشَيرة فالصا ئِف أمسى من الأَنيس يَبَابا

(١) قوهية. نسبة إلى قوهستان . (٢) شنفه : جعل له رباطاً .

وبما قد أرَى به حَيَّ صِدْقٍ ظاهِرى العيشِ نعمةً وشَبابَا
إذ فُؤادى يَهْوى الرَّباب وأنّي الـدَّهرَ حتى المَماتِ أنْسَى الرَّبَابا
وحِسَاناً جَوَارِياً خَفِرَاتٍ حافظاتٍ عند الهَوى الأحْسابا
لا يُكثِّرْنَ فى الحديثِ ولا يَتْبعن يَنْعِقْن بالبِهَام (١) الظِّرَابا

فقضى حوائجَها ، وانْصرفتْ بما أرادت منه .

فلما خلا الوليدُ بأُمّ البنين قال : لله دَرُّ الثريّا ! هل تَدْرين ماذا أرادت بإنشادها ما أنشدتْنى من شعر عُمر ؟ قالت : لا . قال : إنّى لما عرّضت لها به عرّضتْ لى بأنّ أُمّى أعرابيّة .

وأُمّ الوليد وسُليمان : ولّادة بنت العبّاس بن جُزَىّ بن الحارث بن زُهير ابن جَذيمة العَبسىّ .

هو والثريا بعد زواجها

وقيل : لما تزوّج سُهيل بن عبد العزيز بالثريّا ونَقلها إلى الشّام ، بلغ عُمرَ ابن أبى ربيعة الخَبرُ ، فوجدها قد رحلت يومئذ ، فخرج فى إثْرها فَلحِقها على مَرْحلتين . وكانت قبل ذلك مُهاجِرَتَه لأَمرٍ أنكرتْه عليه . فلما أدركهم نَزل عن فَرسه ودَفعه إلى غُلامه ، ومَشَى متنكّراً حتى مرّ بالخيمة التى فيها الثريّا ، فعرفتْه وأثْبتَتْ حركَته ومِشْيته ، فقالت لحاضنتها : كلّميه . فسلّمت عليه وسألتْه عن حاله ، وعاتبتْه على ما بلغ الثريّا عنه . فاعتذرَ وبكى . فبكتِ الثريّا وقالت : ليس هذا وقتَ العِتاب مع وشْك الرّحيل . فحادثها إلى وقت طلوع الفَجر . ثم ودّعها ، وبَكيا طويلاً . وقام فركبَ فرسَه ، ووقف ينظُر إليهم وهم يَرْحَلون ، وأتْبعهم بَصرَه حتى غابُوا . فأنشأ يقول :

(١) النعيق : دعاء الراعى الشاء . والبهائم : الصغار من أولاد الضأن والمعز والبقر والوحش وغيرها . والظراب : الروابى الصغار .

يا صاحبىّ قِفَا نَسْتخبرِ الطَّلَلا ... عن حالِ مَنْ حَلّه بالأَمْسِ مَا فَعَلا
فقال لى الرَّبْعُ لمّا أن وقفتُ به ... إنّ الخَلِيط أَجدَّ البَيْنَ فاحْتَملا
لما وقفْنا نُحيِّيهم وقد صَرخَتْ ... هواتفُ البَيْن واستولتْ بهم أُصُلا
صدَّت بِعاداً وقالت للَّتى معها ... بالله لُومِيه فى بَعْضِ الذى فَعلا
وحَدِّثيه بما حُدِّثتِ واسْتَمعى ... ماذا يقُول ولا تَعْيَىْ به جَدلا
وإنّ عَهْدى به والله يَحفظُه ... وإن أَتى الذَّنبَ ممَّن يَكْره العَذَلا
قلتُ اسْمعى فلقد أَبْلَغْتِ فى لَطَفٍ ... وليس يَخْفَى على ذى اللُّب مَن هَزَلا
هذا أرادتْ به بُخْلاً لأَعْذِرَها ... وقد أرى أنّها لن تَعْدَمَ العِلَلا
ما سُمِّى القَلْبُ إلّا مِن تَقلُّبه ... ولا الفُؤاد فؤاداً غيرَ أنْ عَقَلا
ما إنْ أطعْتُ بها بالغَيْبِ قد عَلِمتْ ... مقالَةَ الكاشِحِ الواشِى إذا سَحَلا
إنى لأَرْجِعُه فيها بسَخْطَته ... وقد يَرى أنّه قد غَرّنى زَلَلا

وهى طويلة .

هو وامرأة شريفة رآها فى الطواف

وقيل إنّ عمر بن أبى ربيعةَ نظر فى الطَّواف إلى امرأةٍ شَريفة . فرأى أحسنَ النّاس صورةً ، فذهب عقلُه عليها ، وكلّمها فلم تُجبه . فقال فيها :

الرِّيحُ تَسْحبُ أذيالاً وتَنْشُرها ... يا لَيتنى كنتُ ممَّن تَسْحبُ الرِّيحُ
كَيْما تَجُرَّ بنا ذَيلاً فَتَطرحُنا ... على الَّتى دُونَها مُغْبرَّةٌ[1] سُوحُ
أنَّى بِقُرْبكمُ أم كيف لى بكمُ ... هيهات ذلك ما أَمْست لنا رُوحُ
فليتَ ضِعْفَ الذى أَلْقَى يكون بها ... بل لَيْت ضِعْف الذى أَلْقى تبَارِيحُ
إحدى بُنَيَّاتِ عمِّى دون مَنْزِلها ... أرضٌ بقِيعانِها القَيْصُومُ[2] والشِّيحُ

(١) المغبرة ، الفلاة . والسوح : الساحات ، جمع ساحة .
(٢) القيصوم : نبت طيب الريح ، وكذلك الشيح .

فبلغها شعرُه فَجَزِعت منه . فقيل لها : أُذْكريه لزَوْجك ، فإنه سيُنْكر عليه قولَه . فقالت : كلا والله ، لا أشكوه إلا لله . ثم قالت : اللّهم إن كان نَوَّه باسْمِى ظالماً ، فاجْعله طَعاماً للرِّيح.

فضَرب الدهرُ من ضَرْبه [1] . ثم إنّه غَدا يوماً على فَرس ، فهبَّت ريحٌ فنَزل فاسْتتر بقَفْلة[2] ، فعَصَفتْ الريحُ ، فَخَدشه غُصن منها ، فدَمِى ووَرِم به . فمات من ذلك .

(١) أى مرت مدة من الدهر وقع فيها بعض حوادثه.

(٢) القفلة : واحدة القفل . وهو شجر يابس لا ينبت إلا بمنجاة من السيل .